مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

مجمع اللغة العربية
جرد ٢٠٠٠
مكتبة مجمع اللغة العربية
الرقم ٢٠٩١
٥٠١٤/١٤

أبو العلاء المعري

زجر النابح

« مقتطفات »

٥٨٧٦
مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق

« ذلك أن بعض الجهال تكلم على أبيات من (لزوم ما لا يلزم) يريد بها التشزر والأذية فألزم أبا العلاء أصدقاؤه أن ينشئ هذا، فأنشأ هذا الكتاب وهو كما ترى. »

ياقوت
في معجم الأدباء

تحقيق
الدكتور أمجد الطرابلسي

المطبعة الهاشمية بدمشق
١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

نسبة الكتاب إلى أبي العلاء المعرّي

(زجر النابح) أثر ثابت النسبة إلى أبي العلاء المعرّي. فَجُلُّ المؤرخين الذين عُنوا بترجمة أبي العلاء وذكر تصانيفه أشاروا إلى هذا الأثر واصفين إياه بأنه كتاب يتّصل بديوانه (لزوم مالا يلزم).

من هؤلاء ياقوت[1] الذي يترجم لأبي العلاء في (إرشاد الأريب) فيشير إلى (زجر النابح) قائلاً إنه « يتعلق بلزوم مالا يلزم . وذلك أنّ بعض الجهّال تكلّم على أبيات من لزوم مالا يلزم يريد بها التشرّر والأذيّة ، فألزم أبا العلاء أصدقاؤه أن ينشىء هذا ، فأنشأ هذا الكتاب وهو كاره .[2] »

---

(١) أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، صاحب كتاب (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) المعروف بمعجم الأدباء . توفي سنة ٦٢٦ هـ . (الأعلام ٩ : ١٥٧) .

(٢) الإرشاد ٣ : ١٥٣ .

ومنهم ابن العديم [1] الذي يقول في (الإنصاف والتحرّي) : « وقد وضع أبو العلاء كتاباً وسمه بزجر النابح ، أبطل فيه طعنَ المزري عليه والقادح . وبيّن فيه عذره الصحيح ، وإيمانه الصريح ، ووجهَ كلامه الفصيح . ثمّ أتبع ذلك بكتابٍ وسمه بنجر الزجر ، بيّن فيه مواضع طعنوا بها عليه بيانَ الفجر . فلم يمنعهم زجرُه ، ولا اتّضح لهم عـــذرُه ، بل تحقّق عندهم كفرُه . وتجرّءوا على ذلك وداموا ، وعنّفوا من انتصروا له ولاموا ، وقعدوا في أمره وقاموا . فلم يرعَوا له حُرمة ، ولا أكرموا علمَه ، ولا راقبوا إلاً ولا ذِمّة ، حتى حكَوا كفرَه بالأسانيد ، وشدّدوا في ذلك غاية التشديد ، وكفّرَه من جاء بعدهم بالتقليد . [2] »

وحينما يعمد ابن العديم في الكتاب نفسه إلى سرد تصانيف أبي العلاء والكلام عليها يشير ثانيةً إلى (زجر النابـــح) فيصفه بأنه

---

(١) كمال الدين عمر بن أحمد ، ابن العديم ، مؤرخ ومحدّث ، توفي سنة ٦٦٠ هـ (الأعلام ٥ : ١٩٧) . طبع كتابه (الإنصاف والتحرّي ، في دفع الظلم والتجرّي عن أبي العلاء المعري) في مجموعة آثار أبي العلاء (السفر الأول تعريف القدماء بأبي العلاء ٤٨٣ — ٥٧٨) .

(٢) الإنصاف والتحري ٤٨٥ .

كتاب يتعلّق بلزوم مالا يلزم « يردّ فيه (المعرّي) على من طعن عليه في أبياتٍ من هذا الكتاب ونسبه إلى الكفر فيها ، فبيّن وجوهَها ومعانيها ، مقداره أربعون كرّاسة . [1] »

ومن هؤلاء المؤرخين الذين أشاروا إلى (زجر النابح) أيضاً يوسف البديعي [2] في كتاب (أوج التحرّي) حيث يقول : « وقد ألّف (أبو العلاء) كتاباً في الردّ على من نسبه إلى معارضة القرآن والجوابِ عن أبياتٍ استخرجوهـــا من نظمه . ورَموْه بسببها بالكفر والطغيان . وسمّى الكتاب (زجر النابح) ، ردّ فيه على الطاعن في دينه والقادح . [3] »

وهناك غير هؤلاء مؤرخون كثر أشاروا إلى كتاب (زجر

---

(١) الإنصاف والتحري ٤٨٥ .

(١) الإنصاف والتحرّي ٥٣٧ .

(٢) يوسف البديعي أحد أدباء القرن الحادي عشر ، توفي سنة ١٠٧٣ هـ . (الأعلام ٩ : ٢٩٣) ، طبع كتابه (أوج التحرّي عن حيثية أبي العلاء المعرّي) في سلسلة منشورات المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية بدمشق سنة ١٩٤٤ بتحقيق الدكتور ابراهيم الكيلاني .

(٣) أوج التحرّي ٦٦ .

النابح) بما لايخرج في معناه عمّا تقدم ، كالقفطي [1] في (إنباه الرواة) [2] ، وسبط ابن الجوزي [3] في (مرآة الزمان) [4] ، وشمس الدين الذهبي [5] في (تاريخ الإسلام) [6] وابن فضل الله العمري [7] في (مسالك الأبصار) [8] ، والصفدي [9] في (الوافي بالوَفيات) [10] .

---

(١) أبو الحسن علي بن يوسف القفطي توفي سنة ٦٤٦ هـ (الأعلام ٥ : ١٧٨) .

(٢) تعريف القدماء بأبي العلاء ٤٢ و ٤٩ .

(٣) أبو المظفر يوسف بن قزأوغلي ، ابن بنت أبي الفرج بن الجوزي ، توفي سنة ٦٥٤ هـ (الأعلام ٩ : ٣٢٤) .

(٤) تعريف القدماء بأبي العلاء ١٥٤ .

(٥) أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي توفي سنة ٧٤٨ هـ (الأعلام ٦ : ٢٢٢) .

(٦) تعريف القدماء بأبي العلاء ٢٠٢ .

(٧) أبو العباس أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري توفي سنه ٧٤٩ هـ (الأعلام ١ : ٢٥٤) .

(٨) تعريف القدماء بأبي العلاء ٢٢١

(٩) صلاح الدين ، خليل بن أيبك الصفدي ، توفي سنة ٧٦٤ هـ (الأعلام ٢ : ٣٦٤) .

(١٠) تعريف القدماء بأبي العلاء ٢٧٤ .

ومما يلفت النظر أننا لانرى أحداً من هؤلاء المؤرخين الذين دوّنوا أخبار أبي العلاء وذكروا مختارات من أقواله في عدد من تصانيفه يورد ولو نبذةً قصيرةً من كتاب (زجر النابح) ، مع أنهم أشاروا إليه جميعاً في ثبت مؤلفاته كما رأينا . حتى البديعي [1] الذي أثبت في (أوج التحرّي) فصولاً مطوّلة اختارها من عدد من تصانيف أبي العلاء المعلومة والمجهولة لم يشر إلى (زجر النابح) إلاّ إشارة عابرة دون أن يورد منه عبارةً واحدة . ولعلّ مردّ ذلك إلى أن هذا الكتاب فُقد منذ وقتٍ مبكّر . هذا مع العلم أنّ القفطي [2] في (إنباه الرواة) يذكر كتاب (زجر النابح) بين الآثار العلائية القليلة التي قدّر لها النجاة بعد اكتساح الروم معرّة النعمان عام ٩٤٢ هـ (١٠٩٨ م) ، ويؤكّد أنه احد كتب أبي العلاء التي قُدّر له أن يراها بنفسه . [3] »

---

(١) انظر الحاشية ٢ ص 5 من هذا الكتاب .

(٢) انظر الحاشية ١ ص 6 من هذا الكتاب .

(٣) تعريف القدماء بأبي العلاء ٤٩ . أما تفاصيل نكبة المعرة سنة ٤٩٢ هـ فتمكن مراجعتها في (زبدة الحلب من تاريخ حلب لابن العديم ٢ — ١٤٢) .

وقد أتيح لي أثناء زيارتي قسم المخطوطات في المتحف البريطاني بمدينة لندن سنة ١٩٥٤ ــ وهي السنة التي انعقد فيها المؤتمر الدولي الثالث والعشرون للمستشرقين في مدينة كمبردج ــ أن اعثر بطريق المصادفة على هذه المقتطفات من كتاب (زجر النابح) . وكنت في ذلك الحين أبحث في كل مكتبة أزورها عما قد يوجد فيها من نسخ مخطوطة لكتاب (لزوم مالا يلزم) بغية تحقيق المقدّمة التي أملاها المعرّي لديوانه هذا والتي كنت آنئذٍ معنيّاً بشرحها وتدريسها في كلية الآداب بدمشق . ولفت نظري أن رأيت المخطوطة ذات الرقم OR ٥٣١٩ التي تحتوي على الجزء الأول من (لزوم ما لا يلزم) . قد امتلأت هوامش عددٍ من صفحاتها بحواشٍ كثيرة كُتبت بعناية ودقة . وكان اغتباطي عظيماً حين تبينت أن هذه الحواشي كلها ليست سوى مقتطفاتٍ حرفية من (زجر النابح) عُني الناسخ باثبات كل منها في هامش الصفحة بإزاء البيت الذي هو موضوع البحث . وقد أشار بروكلمان[1] إلى هذه النسخة المخطوطة

(١) تاريخ الأدب العربي (الملحق ١ : ٤٥٣) .

من اللزوميات دون أن يشير إلى ما تضمنته هوامش صفحاتها مما يدل على أنه لم يطلع على هذه النسخة بنفسه وإنما ذكرها نقلاً عن فهرس المخطوطات العربية في المتحف البريطاني[2] الذي لم يُشر هو أيضاً إلى هذه المقتطفات القيمة المثبتة في هوامش النسخة ، بل اكتفى بالإشارة إلى أن المخطوطة تحتوي على الجزء الأول من (لزوم ما لا يلزم) ، وأنها غير مؤرخة وربما كانت من القرن الثاني عشر الميلاد (القرن السادس للهجرة) .

وصف المخطوطة :

تتضمن المخطوطة ٥٣١٩ OR المحفوظة في مكتبة المتحف البريطاني بمدينة لندن الجزء الأول من (لزوم ما لا يلزم) ، وتضم ١٨٤ ورقة من القطع المتوسط ، وهي مخرومة من أولها ومن آخرها ، وتبدأ الورقة الأولى منها بالبيت :

إذا نزل المقدار لم يك للقطا نهوض ولا للمخدرات إباء

وهو البيت الثالث عشر من اللزومية الأولى ، ومن هذا يتضح

(٢) فهرس المخطوطات المحفوظة بالمتحف البريطاني ، القسم الثاني : المخطوطات العربية في ٣ أجزاء ، لندن ١٨٤٦ — ١٨٧٩ .

أن الأوراق المفقودة من أول المخطوطة كثيرة تشمل مقدمة الكتاب الطويلة واثنى عشر بيتاً من مطلع اللزومية الأولى أما الورقة الأخيرة منها فإنها تنتهي بالبيت :

حجٌ من غيرِ تُقىً صاحبنا كأخي بُحتُرَ عَصْرَ المنتصِرْ

وهو البيت الأخير من اللزومية الثلاثين بعد المئتين . ومعنى ذلك أن عدة أوراق فقدت أيضاً من آخر النسخة ، وهي الأوراق التي تتضمن ثلاث عشرة لزومية عدد أبياتها ثمانية وتسعون بيتاً هي نهاية فصل الراء آخرِ فصول الجزء الأول من (لزوم ما لا يلزم) .

وعلائم القدم ظاهرة على هذه المخطوطة التي تطرّق البلى إلى كثير من أوراقها وأصابتها الرطوبة في غير موضع . ولما كانت النصوص المقتطفة من (زجر النابح) قد أثبتت في الهوامش ، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك ، فلا عجب أن اعترى الطمس والغموض هذه النصوص في مواضع كثيرة ، إذ أن عوارض البلى إنما تدبّ عادة إلى أوراق المخطوطات من أطرافها لكثرة ما تمسها الأيدي من تلك الأطراف . ويبدو أن بعض من وقعت إليهم هذه المخطوطة حاولوا إصلاح أوراقها البالية بالصاق بعض أوراق شفافة فوق المواضع

البالية في هوامشها ، أو باستعمال المقص لإزالة الأطراف المهترئة . ولئن كان لهذه الوسائل البدائية في ترميم المخطوطات أثرها في حفظ الكتاب من الاندثار لقد جارت في الوقت ذاته على بعض النصوص الثمينة المثبتة في هوامشه فطمست بعض عباراتها أو أودت بها . ولقد كنا على أن نغفل بعض هذه النصوص لكثرة ما اعتورها من نقص للأسباب المتقدمة لولا أننا آثرنا إثباتها على علاتها حتى لا ننقص الكتاب شيئاً .

ولقد غدا متعذراً بسبب هذا النقص الذي أصاب المخطوطة تحديد تاريخها على وجه الدقة . على أن مظاهر الخط الذي كتبت به تحمل على الاعتقاد أنها من القرن الهجري السادس كما أشار إلى ذلك (فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في المتحف البريطاني) . بل ليس من المستبعد أن تكون من عمل أحد تلاميذ أبي العلاء في القرن الخامس وأن تكون قد كتبت في أواخر حياة أبي العلاء نفسه .

ومما يحمل على الذهاب هذا المذهب في تقدير تاريخ هذه المخطوطة ، بالإضافة إلى مظاهر الخط ، أن المقتطفات المقتبسة من (زجر النابح) والمثبتة في هوامشها تكاد تنتهي كلها بمثل هذه العبارة :

« هذا كلام الشيخ أبي العلاء ... من زجر النابح » أو « هـذا كلام الشيخ ... من الزجر » ومن المحتمل أن تعني كلمة (الشيخ) هنا أن أبا العلاء كان حقاً من شيوخ الناسخ . كما أن خلو هذه العبارات كلها ــ وما أكثر ترادفها ــ من تعبير (رحمه الله) قد تكون إشارة إلى أن النسخة كتبت في حياة المؤلف حين اشتد عليه طعن الطاعنين في السنين الأخيرة من حياته ولا ريب أن كتاب (زجر النابح) من الكتب التي أملاها أبو العلاء في أواخر حياته بعد أن انتهى من نظم اللزوميات وذاعت أقواله فيهـا وتعرضت بعض أقواله فيها للنقد والتجريح .

فاذا انتقلنا من هذه الظواهر الشكلية إلى روح الكتب حصلت لدينا القناعة بأن الذي كتب هذه النسخة متنها وحواشيها[1] هو رجل متين في علمه ومن محبي أبي العلاء والمنافحين عنه باخلاص .

أما علمه فيبرز من خلال صفات كثيرة تتصف بها هذه النسخة ،

(١) من الثابت أن الذي كتب النسخة ، متنها وحواشيها واحد ، فقاعدة الخط هنا وهناك واحدة ، كما أن بعض الحواشي قد فسح لها مجال بين أبيات المتن بدلاً من إثباتها في الهوامش .

لخلوّها من الخطأ تقريباً إلا ما كان سهواً ، وهو قليل جداً ، وكونها مضبوطة بالشكل الكامل ضبطاً دقيقاً ومرفقةً في مواضع كثيرة بشروحٍ لغوية وتاريخية ثمينة تدل على سعة اطلاع الناسخ وحسن تفهمه لأشعار أبي العلاء على ما فيها أحياناً من عسرٍ وغموض . ومن هذه الصفات أن المقتطفات الكثيرة المقتبسة من (الزجر) قد أثبتت بدقة وأمانة في هوامش المخطوطة وأشير إلى بداية كل منها ونهايتها وفق القواعد التي يتبعها النساخ المجيدون بعد مراجعة نقولهم على أصولها .

وأما كون الذي عمل هذه النسخة من محبّي أبي العلاء والمقتنعين ببراءته مما حُمل عليه فواضح من حسن اختياره لهذه المقتطفات من أقوال الشيخ في (الزجر) وإثباتها في هوامش النسخة بإزاء كثير من الأبيات التي استهدفت للطعن والتجريح في (الأبيات) ، كل ذلك ليدفع عن هـذا الأثر الخالد طعن الطاعنين ويردّ عنه سهام الخصوم ، وكأنه إنما يرى رأي الشيخ ويؤيده في كل مايقوله دفاعاً عن نفسه .

ولا ريب أننا مدينون لهذه المحبّة التي كان يكنّها الناسخ لأبي العلاء بالعثور على هذه المقتطفات الثمينة من كتاب (زجر النابح)

الذي كنّا حتى اليوم نجهل كلّ شيء من مضمونه . وقد بلغ عدد نصوص (الزجر) التي أمكن استخلاصها من هوامش هذا الجزء الفرد الذي أمكن الكشف عنه من النسخة المخطوطة تسعةً وثمانين نصّاً تتصل بعددٍ مماثل من أقوال المعرّي في (اللزوميات) . ولو أنه أمكن الكشف عن هذه النسخة كاملةً بجزأيها لكانت نصوص الزجر المستخلصة من هوامشها أوفى كثيراً ، بل لربما تيسر حينئذٍ استخلاصُ الكتاب منها بتمامه .

وقد آثرنا في نشر هذه المقتطفات أن نبرزها في إطار واضح يُيَسّر على القارىء تناولها ودراستها ، فأثبتناها متسلسلةً وَفقَ ترتيب الأبيات المتعلقة بها في (لزوم مالا يلزم) كما اثبتنا في مفتتح كلّ منها البيتَ أو الأبيات التي هي موضع البحث فيها مع الإشارة في الحاشية إلى موضع القصيدة في الديوان . وقد حرصنا أيضاً على اختصار الشروح والتعليقات والاكتفاء منها بالضروري الذي لا يُستغنى عنه ، وذلك كي يبقى لأبي العلاء النصيب الأوفى من الكتاب الذي هو كتابه قبل كلّ شيء وليظل القارىء وجهاً لوجه مع المؤلف ، حرّاً في فهم مرامي كلامه والحكم له أو عليه .

وكانت النية أن تنشر هذه المقتطفات وتقدم إلى المؤتمر الرابع والعشرين للمستشرقين الذي انعقد في مدينة مونيخ الألمانية سنة ١٩٥٧ . وقد وزّعت فعلاً في المؤتمر المشار إليه كرّاسة وحيدة تحتوي نماذج من هذه المقتطفات . ثم طرأت أحداث ومشاغل حالت دون متابعة العمل آنئذ .

موضوع الكتاب

(زجر النابح) هو أحد التصانيف العلائية التي تكشف لنا عن الصراع الذي كان يدور في حياة أبي العلاء نفسه حول آثاره وآرائه ومسلكه في حياته بينه وبين نفرٍ من خصومه .

ولقد أصبح مشهوراً أن أبا العلاء لقي في حياته كثيراً من العنت شأن كثير من أنداده أولي المذاهب الجديدة والأفكار الجريئة . وقد ذهب بعض خصومه خلال تقدمه إياه إلى حدّ توجيه التهم إليه في دينه والتشكيك في معتقده .

ومبعث هذه التهم في الأكثر الغالب أمورٌ ثلاثة : أولها مسلك المعرّي في حياته ونسكه وزهده وترهّبه وامتناعه عن أكل الحيوان وما ينتجه . وثانيها كتاب (الفصول والغايات) وهو كتاب أملاه

المعرّي بأسلوبه المنمق المعروف في تمجيد الله وحمـــده . فزعم خصومه أنه أراد به معارضة القرآن . وقد نشرت بعض أقسام هذا الكتاب منذ سنين فقضى نشرها على هذه المزاعم الواهية . وثالثها ـ وهو الأهم ـ ديوانه المشهور (لزوم مالا يلزم) وما ورد فيه أقوال لايخـــلو بعضها من جرأة وعنف ونقدٍ قاسٍ لرجال الأديان وأصحاب المذاهب والطرق من كلّ ملّة وطائفة ، كما لايخلو بعضها الآخر من غموض يبعث على التساؤل والاستفسار . وهذه الأقوال في كلتا الحالين في حاجـــة إلى توضيح يبيّن حقيقة المقصود منها .

وقد حاول أبو العلاء ، راضياً حيناً وكارهاً أحياناً ، أن يدفع عن نفسه هذه التهم ، واضطر إلى أن يزجّ نفسه في مناظراتٍ مع عددٍ من خصومه . ومن أشهر هذه المناظرات تلك الرسائل التي تبادلها المعرّي في أواخر حياته مع داعي الدعاة الفاطمي [1] . وكل

(١) أورد ياقوت جزءاً كبيراً من هذه الرسائل في (معجم الأدباء ٣ : ١٧٦ — ٢١٣) ونشرها كاملة السيد محب الدين الخطيب في المطبعة السلفية في القاهرة عام ١٣٤٩ هـ .

من قرأ هذه الرسائل المشهورة ووازن فيها بين لهجة داعي الدعاة حين يهاجم بعنف ، ولهجة أبي العلاء وهو يدّري خصمه بلطف ، أدرك مدى شقاء المعرّي بهذا الجدل العقيم . وكان محور المناظرة في هذه الرسائل قصيدة أبي العلاء التي يذكر فيها مسلكه الانعزالي الذي ارتضاه لنفسه ، ومطلعها :

غدوتُ مريضَ العقل والدينِ فالقني
لتسمع أنباءَ الأمورِ الصحائحِ [1]

ولكن في (لزوم مالا يلزم) أبياتاً أخرى في غير هـــذه القصيدة كانت أيضاً مثاراً لكثير من التأويل والتقوّل ، ويبدو أن أبا العلاء آثر التزام الصمت تجاه من طعن عليه في هذه الأبيات ، لولا أن بعض أصدقائه ومحبّيه ألحّوا عليه أن يدفـــع عن نفسه التشرّر والأذيّة فأملى (زجر النابح) وهو كاره ، كما قال ياقوت في كلامه الذي سبقت الإشارة اليه [2] .

(١) لزوم ما لا يلزم (اللزومية ١٩ من فصل الحاء ١ : ٢١٨ — ٢١٩) .
(٢) انظر ص 3 من هذا الكتاب .

فكتاب (زجر النابح) يتصل إذاً أوثق اتصال بديوان (لزوم مالا يلزم) إذ فيه يوضح المعرّي كثيراً من أقواله التي ضمّنها لزومياته ويسفّه رأي الطاعن عليه فيها ، مندّداً بفهمه الملتوي حيناً وبتأويله المتجنّي في معظم الأحيان .

الطاعن وأقواله

ويبدو من قراءة هذه المقتطفات التي أمكن العثور عليها من (زجر النابح) أن أبا العلاء إنّما كان يردّ على خصمٍ واحدٍ بعينه لا على خصومٍ كثر . فهو يوجّه كلامه إلى هذا الخصم بصورة المفرد دائماً ، ويطلق عليه تبعاً للمناسبة نعوتاً كثيرة ، منها ما قد يحتمل يُسر ، ومنها ما يبلغ الغاية في القسوة . فهو أحياناً : الطاعنُ والمتكلم ، والمنكر ، والمعترض ، وهو أحياناً أخرى : المتحامل ، والمتقوّل ، والمبطل ، والمموّه . وهو أخيراً : المخترص ، والمتسوّق ، والمتقرّب بثلب البرآء ، والعرّيض الكاذب ، والملحد .

ويغلب على الظن أن خصماً لأبي العلاء كتب رسالةً يتعقّب فيها أقواله في (لزوم مالا يلزم) ، ممعناً في أذيّته والتأليب عليه ،

مما قلق له بعض أصدقائه فحملوه على أن يردّ عن نفسه سفه هذا الخصم العنيد .

ويشير أبو العلاء في غير موضع من (الزجر) إلى ما كان يدفع هذا الخصم إلى التحرّش به والتهجم عليه وتأليب العامة ضده رغبةً في إيذائه والايقاع به . فنراه مرة يقول بعد أن كشف عن تلاعب هذا الخصم بأشعاره وقطع ما اتصل منها عمداً أو وصل ما انقطع « أفما يستحي المتحامل أن يأتي بمثل هذه التمويهات الباطلة ويلبّس بها على جماعة مغترة ليتوصل إلى أذاة من لم يتقدّم إليه منه مضرّة ما يكره ولا يشين ؟ وقد وصل البيت الذي ذكر حرصاً على التشنيع ورغبةً في تضريب العامة على معنى التأريش[1] ببيت ليس هو في الأبيات .... الخ[2] » ويقول في موضعٍ آخر ، وقد رماه الطاعن بالإلحاد لقوله في خطاب طفلٍ صغير :

بأيّ ذنبٍ أُخِذْتَ فينا ؟ لم تجن إلاّ كذنبِ صُحْرِ[3]

(١) تضريب العامة : إغراؤها . والتأريش : الإفساد والتحريش والإثارة .
(٢) راجع النص ٦٤ من (الزجر) .
(٣) لزوم مالا يلزم (اللزومية ١٦٥ من فصل الراء ، ١ : ٣٩٢) . وصُحر فيما قيل : أخت لقمان بن عاد . وفي المثل : ما له إلا ذنب صُحر ، أي لا ذنب له .

« والذي يعترض على مثل هذه الأشياء ، لو قدر أن يجعل الحذف بالحصاة[1] إلحاداً ، بله القيام واللعب وما هو جارٍ مجراهما من أفعال الآدميين[2] . وتلك بغضةٌ وَقَرَت في الصدر ، إما لمخالفةٍ من الطبع ، وإما لأمر من القضاء لا يُعْلَم[3] » .

ومما يؤسف له أننا لا نعرف شيئاً عن هذا الخصم بالذات أو عن الرسالة التي كتبها في الطعن على اللزوميات وصاحبها ، فأبو العلاء لا يشير في هذه المقتطفات التي بين أيدينا من (الزجر) إلى شيء من هذا[4] . كما أننا لا نعرف مطاعن هذا الخصم وآراءه وأقواله إلا مستنتجةً على وجه التقريب من أقوال أبي العلاء نفسه في هذه المقتطفات . فقد كان أبو العلاء يذكر أحياناً التهمة الموجهة إليه من

(١) الحذف بالحصاة : رميها بأطراف الأصابع أو بالمِحْذَفة وهي المِقْلاع أو أداة من خشب تُجعل بين الأداة والسبّابة .

(٢) جواب لو محذوف وتقديره : لو قدر ... لفعل .

(٣) راجع النص ٦٥ من نصوص (الزجر) .

(٤) في بغية الوعاة للسيوطي ص ٢٨٢ أن أبا منصور الكاتب عبد الله ابن سعيد الخوافي ألف كتاباً ردّ فيه على المعرّي سماه (رَجْمَةَ العفريت) . فهل هو المقصود يا ترى ؟ علماً بأن أبا منصور هذا توفي نحو سنة ٤٨٠ هـ ، فجائز أن يكون قد أدرك المعري (انظر الأعلام ٤ : ٢٢٢) .

قبل خصمه قبل أن يعمد إلى الدفاع عن نفسه . فتراه يقول مثلاً في تعليقه على هذا البيت :

فإن رجالاً كان نَشْرٌ لديهمُ إلهاً عليهمْ قبلَنا طَلَع النسر[1]

« إن ادعاء المُنكِرِ هذا البيت أنه دليل الإلحاد لمن المنكرات[2] .. »

ويقول في تعليقه على هذا البيت :

ودارا ساكنٍ وحياةُ قومٍ كجسرٍ فوقهُ اتصلَ العبور[3]

« أعوذ بالله من زمانٍ تجوز فيه دعوى مُمَوِّهٍ أن هذا البيت دليل الالحاد[4] » .

ويقول في تعليقه على هذا البيت :

عُكِسَ الأنامُ بحكمةٍ من ربِّه فتحكَّمَ الهَجَريُّ فيه وسَتَّرَ[5]

« وأما ادعاء المتقوّل أن الهجريّ يراد به النبي ﷺ فهذا شيء

(١) لزوم ما لا يلزم (اللزومية ٦ من فصل الراء ١ : ٢٩٩) .

(٢) راجع النص ٣٤ من (الزجر) .

(٣) لزوم ما لا يلزم (اللزومية ٤٦ من فصل الراء ١ : ٣١٩) .

(٤) راجع النص ٤١ من (الزجر) .

(٥) لزوم ما لا يلزم (اللزومية ٥١ من فصل الراء ١ : ٣٢٢) .

لم يقله أحد من أهل العلم ولا الجهلة ، إنما المراد به القرمطي[1] » .

ويقول في تعليقه على هذا البيت :

ما بين موسى ولا فرعونَ تفرقةٌ عند المنون بإكبارٍ وإصغارِ[2]

« ادعى أن هذا تسوية بين موسى وفرعون[3] » .

ويقول في تعليقه على هذا البيت :

آليتُ لا ينفكّ جسمي في أذىً حتى يعودَ إلى قديم العنصرِ[4]

« وادعاؤه أن هذا القول كقول الفلاسفة بهتان مبين ، لأن (العنصر) يتكلم به جميع العرب ... وكيف يستجيز القائل أن يدعي أن قوله (قديم العنصر) يريد به مذهب الفلاسفة ويحكم بذلك حكماً يزعم أنه موجبٌ الردة والميل عن المحجة ؟[5] » .

ويقول في تعليقه على هذا البيت :

---

(١) راجع النص ٥١ من (الزجر) .
(٢) لزوم ما لا يلزم (اللزومية ١٦١ من فصل الراء ١ : ٣٩١) .
(٣) راجع النص ٦٤ من (الزجر) .
(٤) لزوم ما لا يلزم (اللزومية ١٨٧ من فصل الراء ١ : ٤٠٧) .
(٥) راجع النص ٧١ من (الزجر) .

شِيَعٌ أجلّت يومَ خُمَّ فانبرت أخرى تعارضها بعيد الغارِ[1]

« ادعى المموه أن هذا البيت استخفافٌ بالشيعة وغيرهم[2] » .

ويقول في تعليقه على هذا البيت :

زوجةُ إبراهيمَ سارتْ إلى مقامِ إبراهيم في نذرها[3]

ادعى المموه أن زوجة إبراهيم معنيٌّ بها زوجة إبراهيم الخليل صلى الله عليه وعلى أزواجه[4] ... »

ففي هذه الأمثلة التي أوردناها ــ ولها في الكتاب أشباهٌ كثرٌ ــ يشير أبو العلاء بوضوح إلى أقوال الطاعن ومآخذه على بعض الأبيات من اللزوميات . ولكن في الكتاب نصوصاً أخرى كثيرة خالية من مثل هذه الإشارات الواضحة . بيد أن القارىء يستطيع في معظم الأحيان أن يستنتج رأي الخصم من أقوال أبي العلاء في دفاعه عن نفسه وإبانته المقصود من أبياته التي كان هذا الخصم يسيء فهمها جهلاً أو عن سوء نية .

---

(١) لزوم ما لا يلزم (اللزومية ٢٠٨ من فصل الراء ، ١ : ٤٢٢) .
(٢) راجع النص ٨٠ من الزجر .
(٣) لزوم ما لا يلزم (اللزومية ٢١٦ من فصل الراء ، ١ : ٤٢٥) .
(٤) راجع النص ٨١ من (الزجر) .

وإذا كانت براءة الذمة هي الأصل فان قارىء هـذه الصفحات من (الزجر) لا يسعه إلا أن يبرىء ذمة أبي العلاء وهو يلمس فيها حرصه المخلص على أن يقتنع الناس ببراءته مما نسب إليه .

وطريقة المعري في الدفاع عن نفسه وابعاد الشبهات والمطاعن عن شعره تقوم على توضيح المعنى الذي قصد إليه في كل بيتٍ جعله الطاعن غرضاً له فأساء فهمـه أو حرّفه عن موضعه . وكان جلّ اعتماد المعري في هذا التوضيح على ثقافته الواسعة واطلاعـه العميق الشامل على كل ما يمت بصلة إلى العلوم الإسلامية واللغوية . ولقـد كان من السهل على أبي العلاء حين يكون المورد قريباً أن يدحض حجج خصمه ويبرز ما ينطوي عليه صاحبها من (غباوة) و (ضلال) و (خبرة قليلة) و (غريزة ناقصة) و (تعرض لما لا يحسن) و (جهل مبين بأحكام المنظوم) أو (بأساليب القول) أو (باتصال الجمل بعضها ببعض) أو (بفروع الدين وأصوله) ، أما المواضع الأخرى التي لم تكن تخلو من دقة أو حرج فقد كان أبو العلاء يعتمد فيهـا

معرفته العميقة بأساليب البيان العربي ، مؤكداً أن كلامه وإن أتى ظاهره عاماً شاملاً فانه خرج على الخصوص ، أو أن فيه حذفاً ، أو أنه جاء على سبيل العكس ، أو على سبيل المجاز ، أو أريد به اللغز ... الخ . وكان من الطبيعي في هذه الأحوال أن يكثر المعري من الاستشهاد على صحة رأيه بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة وأقوال المفسرين والإخباريين ، وأن تُمدّه حافظته العجيبة بفيضٍ من الشواهد من أشعار العرب وخطبهم وأمثالهم ينتقي منها ما أحب أو ما ناسب المقام .

وهناك مسلك آخر كثيراً ماسلكـه أبو العلاء في الدفاع عن نفسه . ذلك أن (لزوم مالا يلزم) إذا كان لايخلو حقاً من أبيات غامضة يجوز أن تفتح باباً للأخذ والردّ ، فإن فيه أبياتاً أخرى كثيرة وصريحة تشهد لقائلها بحسن المعتقـد وقوة الإيمان ، فلماذا لايلتفت الخصم إلى هذه الأبيات الواضحة المنفتحة المعنى ويأبى إلاّ التمسك بأبيات أخرى يعتورها الغموض أو يحتـاج تفهمها على حقيقتها إلى عـلم غزير ودراية واسعة بأساليب القول وأحكام المنظوم والمنثور ؟.

ولذا نرى المعري في غير موضع من كتابه يغتنم سنوح مثل هذه الأقوال الجميلة ليلفت إليها نظر القارىء وليأخذ على خصمه تغافله عنها . فيقول مثلاً في تعليقه على البيت :

لا أخطب الدنيا إلى مالكها ... دنيا ولكن خطبتي أختها [1]

« لفظ بأنه لايخطب الدنيا الفانية إلى ربّها ، وإنما يخطب أختها المنتظرة . فكيف تُدعى الدعوى الباطلة على من هذا اعتقاده ، وطلبُ الآخرة همّه والتماسه ؟ فرحم الله القائل :

إذا محاسني اللاتي أُدِلّ بها
كانت ذنوبي فقل لي كيف أعتذر ؟ [2]

وفي مكان آخر يتهمه خصمه ، على مايبدو ، بجحد الحياة الآخرة لقوله في إحدى لزومياته :

ونومي موت قريب النشورِ ... وموتي نوم طويل الكرى [3]

وهي تهمة يلمس القارىء مدى مافيها من عنتٍ وتحامل . فيشير المعري إلى قوله في البيت التالي من اللزوميّة نفسها :

---

(١) لزوم مالا يلزم (اللزومية ٢٦ من فصل التاء ، ١ : ١٦٧) .
(٢) راجع النص ٢٤ من (الزجر) .
(٣) لزوم مالا يلزم (اللزومية ٤ من فصل الألف اللينة ١ : ٦٣) .

نؤمّل خالقنا : إننا ... صرينا لشرب ذاك الصرى [1]

ويقول : « تأميل الخالق لمن ليس هو في الدين يالق . فأما الطائفة الذين يومى إليهم هذا الموّه فلا يعقدون بالله الأمل ، ولا يسرّعون للأخرى العمل ، ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾ ثم يشير إلى قوله في لزومية تلي هذه في الديوان :

يُهنّأ بالخير من ناله ... وليس الهناء على ما أتى [2]

ويقول : « فهذا شهادة بالدار الآخرة ، وحكمٌ بأن الدار الفانية لا ينبغى أن يُهنّأ الإنسان بما أعطي فيها من خير لأنه زائل . وإنما يجب الهناء إذا رُفع موتٌ وعناء ، وصار من ينال ذلك في غبطة الأبد ، والخلاص من المضيق والكبَد . [3] »

بين الهدوء والعنف ، والجدّ والهزل

ينساب كلام المعري في كثير من تعليقاته في (الزجر) هادئاً

---

(١) قوله صُرينا : أي جُمعنا . والصُرى : الماء المستنقع الذي طال مكثه وتغيّر .
(٢) لزوم مالا يلزم (اللزومية ٥ من فصل الألف اللينة ، ١ : ٦٧) .
(٣) راجع النص ١٣ من (الزجر)

صافياً لاتعكره ثورة ولا يهيجه غضب . ولكنه يخرج في بعضها عن هذا النهج الرضي فيذهب في مخاطبة الخصـــم وتوهين آرائه وتفنيد مزاعمه مذاهب فيها الكثير من السخرية أو العنف .

فهو أحياناً يردّ إلى خصمه تهمة الإلحاد ويكيل له فيها الصاع صاعين فيقول له : « ما أجهل هذا الملحد وما أقلّ معرفته بالكلام ! أيجعل التعجّب من الشيء إنكاراً له ، أي نفياً ؟ فأبعده الله ! ... وإن من يجعل هذا نكيراً لغير مأمونٍ أن يدّعي على القائلين (لا إله إلا الله) أنهم ملحدون لأنهم ابتدءوا في أوّل كلامهـــم بالنفي [1] . » أو يقول له : « إنكار هـــذا قد صدر عن قلب مستولٍ عليه الشكّ متمكّن منه الإلحاد . فما سمع من قولٍ يصرفه إليه لأنّ الإنسان إذا كثرت همّته بالشيء تصوّره في كل أوانٍ وتوهمه في اليقظة والرقاد . . . . وكذلك هذا الملحد ـ أبعده الله ! ـ أي شيء سمعه تأوّله على ماثبت في صدره [2] » .

وهو أحياناً أخرى يعمد في تسفيه خصمـه إلى السخرية يشفي

(١) راجع النص ٧٣ من (الزجر)
(٢) راجع النص ٦٥ من (الزجر)

بها غيظه ، جاعلاً منه أضحوكةً يتلهى بها القارىء . فإذا طعن هذا الخصم مثلاً في هذا البيت من اللزوميات :

ولا تَقْبَلْ من التوراةِ حُكماً
فإنّ الحقَّ عنها في توارٍ [1]

علّق المعري على هذا الطعن متهكماً : « العجب لإنسانٍ يدعي أنه من المسلمين ثم ينكر بعد ذلك ما ذكر في هـذا البيت من أن التوراة حكمها غير صحيح ، فقد ألزم نفسه أن يسبت مع اليهود ، وأن يُحرّم ذبائح المسلمين ، وأن يُعيّد عيد النهشة وعيد الفطير . وإذا قضي له أن يمرّ ببيت المقدس خرق ثيابه ولطـــم وجهه كما يفعـل بنو اسرائيل . فليت شعري عن هـذا المتسرّع إلى ما هو غنيّ عنه ، هل أكل مضيرةً في هذا الربيع ، فان أكلها في التوراة حرام ؟ ! [2] » . وإذا اعترض هذا الخصم على قول أبي العلاء في اللزومية نفسها :

عليك العقلَ فافعـل ما رآه جميلاً فهـــو مشتار الشّوارِ

(١) لزوم ما لا يلزم (اللزومية ١٨١ من فصل الراء ، ١ : ٤٠١) .
(٢) راجع النص ٦٨ من (الزجر)

أجيبَ بهذه العبارة الساخرة : « ليت شعري عن هذا المتكلم المعترض : بعقل أم بغير عقل ؟ إن زعم أنه بعقل فقد نقض ما أنكر ، وإن زعم أنه بغير عقل فقد شهد على نفسه بالجنون ! [1] » .

وربما ذهب أبو العلاء في ردّه إلى أبعد من كلّ هذا ، فإذا هو يدعو على خصمه ويصفه بأقبح النعوت ، وإذا القارىء يجد نفسه أمام عباراتٍ مثل هذه :

« أرغم الله أنف المتخرص ، ولا زالت الذلة منه بمعطس ! [2] »

« ألصق الله العفَر بتفرة هذا المتقوّل ! [3] » .

« أفبين البهائم هذا المتكلم أم بين الإنس ؟ إن هذا لجهل مبين ...

وما يضل عن ذلك إلا من هو معدودٌ في الأنعام ، [4] ... الخ

وقد يهم القارىء ، وهو يمر بهذه العبارات وأشباهها ، أن

---

(١) راجع النص ٦٧ من (الزجر)

(٢) راجع النص ٤ من (الزجر) . والمتخرص : الكذاب .

(٣) راجع النص ٧ من (الزجر) . والعفر : التراب ، والتفرة : النقرة التي في وسط الشفة العليا تحت الأنف .

(٤) راجع النص ٤١ من (الزجر) .

يوجه اللوم عنيفاً إلى أبي العلاء على هذا العنف في الخطاب . ثم يعود إلى نفسه قائلاً : لعلّ له عذراً وأنت تلوم ! ومن يدري ؟ لعل القارىء لو أتيح له أن يطلع على أقوال الطاعن وما قد تكون تضمنته من لاذع القذف وقوارص التُّهم لالتمس لأبي العلاء بعض العذر في أمثال هذه النزوات . ولن ينسى القارىء على كل حال أن موقف المعرّي إنما هو موقف المدافع عن فكره وعقيدته وحياته أمام خصم لدود واغر الصدر قد بدأه بالوقيعة والشر . والبادىء أظلم . ولا ريب أن كلام هذا الخصم المتهجّم كان قاسياً وجارحاً يحزّ في نفس أبي العلاء حزّاً عميقاً ، وذلك واضح في الألم المكبوت الذي كان أبو العلاء يطوي عليه أحناء صدره فتفضحه بين حين وحين صرخاتٌ تندّ عنه فلا يستطيع له رداً ، ولا سيما حين يلتفت حواليه فلا يجد من ينصره على جهلِ ممعنٍ في سفهه وتطاوله ، وتشرّد باغٍ لاحد لجوره وتحامله . فإذا هو يلجأ إلى خالقه ومن لا ملجأ سواه ملتمساً منه النصرة والعون فيقول :

« فأما العالم الذين يسمعون كلام هذا الإنسان ثم لا ينكرون عليه فمؤلف (لزوم مالا يلزم) بينهم غريب مطّرح قد يئس من

النصرة .... ولكنه ينتظر النصرة من الله سبحانه بالوعد السابق في الآية : ﴿ ثم بُغي عليه لينصرنه الله ﴾ [1] » .

ويقول في موضع آخر : « كيف يستحسن من له غريزة يشوبها شيء من عقل أن يقول مثل هذه الأشياء ويتأول مثل هذه المنكرات في بعض الأبيات ؟ فاذا جاء ما ينبيء عن بيانها ألقاه إلقاء عمد وتحامل . فلله الراجز حيث يقول :

لو أنّ حولي عصبةً يمانيه ما تركتني للذئاب العاديه

ولكن إنما يغضب لهذه الأشياء المسلمون ، وقد اغترب الاسلام في هذا الأوان ! [2] » . ويقول في موضع ثالث ، متحدثاً عن نفسه ، وقد بلغ به الألم كل مبلغ : « فليصبرن على ما لقيه من السفه وقلة الانصاف ، وإنه غير حافلٍ أراح الموت عليه أم ابتكر ، ولا مبالٍ على أي صَرْعيه وقع .

كليهِ وجريّهِ جَعارٍ وأبشري بلحمِ امرىءٍ لم يشهدِ اليوم ناُصره

(١) راجع النص ٨١ من (الزجر) .
(٢) » » ٤١ » »

بمن يهتف وبمن يستغيث ؟ وما يحاول النصرة إلا بحمل ماوجد على اليقين [1] » .

وبعد ، فهما تكن أقوال أبي العلاء في (زجر النابح) واللهجة التي اصطبغت بها ، فهي أقوال لها شأنها في الدراسات العلائية ، إذ يجد فيها الباحثون تقويماً معقولاً للكثير من التأويلات الخاطئة التي تأوّلها عليه خصومه وتصحيحاً للتُهم التي كان يسددّها إليه الطاعنون ، كما يجدون فيها صُوَراً لعذاب أبي العلاء الوجدانيّ وشقائه الفكريّ في عصره .

وإننا إذ نتقدم اليوم إلى محيي أبي العلاء والدراسات العلائية بهذه المقتطفات الثمينة من أقواله في الدفاع عن نفسه وتوضيح آرائه في ديوانه الخالد (لزوم مالا يلزم) ، لنتمنّى أن تكشف الأيام في ساعةٍ من ساعاتِ نعمها عن كتاب (الزجر) بتمامه فتكمل بذلك الفائدة . والله من وراء القصد .

أحمد راتب النفاخ

(١) راجع النص ٤٥ من (الزجر)

نماذج

عن صفحات الكتاب المخطوطة

زجر النابح

تعليقات منقولة من هوامش المخطوطة OR ٥٣١٩ المحفوظة في مكتبة المتحف البريطاني بمدينة لندن ، وقد اتبعت القواعد التالية في نشرها :

١ — رتبت هذه التعليقات بحسب تتابع ورودها في هوامش المخطوطة وأعطيت أرقاماً متسلسلة من ١ إلى ٨٩ . وأشير في نهاية كل معنى منها إلى رقم الورقة التي ورد فيها . وأشير بالحرف أ إلى وجه الورقة الأول ، وبالحرف ب إلى وجهها الخلفي .

٢ — اقتصر في مطلع كل نص على إثبات البيت أو الأبيات التي هي موضع البحث فيه ، وأشير في الحاشية إلى موضع هذا البيت أو هذه الأبيات من الديوان .

٣ — كل كلمة أو عبارة وردت مطموسة في النص أو سقطت منه سهواً أحيطت بقوسين على هذا الشكل [ ] بعد تقديرها اعتماداً على المراجع المعروفة أو تبعاً لمقتضى الكلام ، مع الإشارة دوماً إلى طريقة التقدير في الحواشي .

٤ — كل كلمة أو عبارة مطموسة أو منسية تعذّر تقديرها أبدل بها نقط بين قوسين على الشكل التالي [...] .

لا تقطع الحبل مغتابا بالغافلة من النفوس ولا تجلس الى النمر

توخ نقل الى زيد وكث الى عمرو وخل كلاما في لى عمر

وقال مضى السبط الاول انضاف الرا المكسورة مع النون والسبط الثاني

اكرم عجوزك ان كانت موجدة على التجنف او كانت بر تنار

نادت على الدين في الافاق طايفة يا قوم من بشرى حنا بذ شنار

جنوا اكابر اثام وقد زعموا ان الصغاير تجني الخلد في النار

وقال ايضا في الرا المكسورة مع الغين

ما بين موسى والاغرعون تفرقة عند المنون باخبار واضغار

كانها ذات قر اطبقت لهبا ما ضمه الحطب من سندر ومن غار

او ام اجر حرى قتل على نفر حر وعبد فحشتهم الى العار

ترمي بعصوين ذي نطق وذي خرس الى فم الصوف الطعم فغار

وقال ايضا في الرا المكسورة مع النون

تناقض ما له الا السكوت له وان يعود بموت انا من النار

كف تحمس يحي من عسجد فلبت ما تالها قطعت في ربع دينار

وقال ايضا في الرا المكسورة مع النون مثل النون الف

وكان ساهرة السما نضمت أنفاً من التسهيد والاسهار

الساهرة دارة القمر ويجوز ان تجعل الساهرة النجوم وهذا البيت

وقال ايضاً في الرا المكسورة مع الميم

سبحان ربك هل ترى لك كفوه شرف النجوم وسؤدد الأقمار

وكان من خلق النفوس ترائى لها ظلماً فعاجلها ببعد مزار

مازر من بقناعه او بنهاني العيش ملكاً غالب وذمار

ذمار موضع باليمن

ومن المعاشر من يكون مراؤه مهر البغي ونهزة الخمار

والسر مستهر المكان معرف والجهر يلحق من وراء جمار

وبقاء مر الانسان طول حياته قدراً تمتع من رضى بقمار

خف من تودكما تخاف معاداً وتمار في من ليس فيه تمار

فالرز سبعته الغريب ومادري مضر بما تعنى هذا أتمار

اتمار بن نزار فتاعيز اخية مضر وهرب

تبغدوا الغنى والخل ملك يمينه وكأنه غاد بلبت جمار

واذا ملكت الارض فاجتم ثراها من غرسه شجراً بغير ثمار

ان قلبت السم اعدك برهة فاجن اليمض مرة وشمار

وقد ادعى من ليس ينبت قوله عظم الجسوم وبسطة الأبصار

ما كابر الا كاخر عابر والحق يعلم وخمه بامار

ولم يخف الحمام فالجائه مطلات الصقور الى نوار

اجل من الغر الهجان بنيه وابنى في الاكف من السوار

ومانفع المبرد من جميم وصادف قعلبا ثوب ضواري

معنى الواو في الاول

وقال ايضاً في الرا المكسورة مع الهاء والكاهل الاول

لاتطلب الغرض البعيد وتسهر ما يقضيات وطالب التسهير

خل الخمول لذ هجوع وتنطوي عجز وتصبح حامل كسهير

والمرء يغشاه الأذى من حيث لا يخشاه فاعجب من صروف الأدهر

ومحمد وهو المسمى بيسك لمكان اكله انقطاع الأبهر

لاتقطعن على الهباب فانها زهر بذلك مع الزمان الأزهر

والنبت يظهر للعيون وان مضت سنة له فكأنه لم يظهر

في كل عام تستهل غمائم بشفا بق النعمان او بالعبهر

ومن الرزية عاهر متوهم في الناكنن وناسك في العبهر

وهاس الدنيا الانيس وانما اشباح سادتهم اهلة اشهر

واذا ارذم للبين كرامة فالجزم اجمع نتهم في الأظهر

والرأي ان تدعوا الصوارم كلها بقرى المشارف والرماح السمهر

وَالْأَرْضُ عَنْ تَنَا بِالطَّافِهَا ثُمَّ مَخَضْتَنَا نَهْلًا أَنْصَفَتْ

ثُمَّ كُلٌّ مَنْ دَبَّ عَلَى ظَهْرِهَا وَنَى عَلَى رَغْبَتِهَا مَا كَفَتْ

أَنْشَأَ فِينَا الْآثَامَ وَخَلْقُهَا لَوْ نَطَقَتْ لَاسْتَفَتْ

وقال في الثاء الثالث عشر

نَفْسٌ تُسَلِّيهِ أَصَحُّهَا عَنْوًا إِلَى زَمَانِهِمْ إِذْ عَنَتْ

وَمَا يُرَى نَضْحُ اللَّبِّ عِنْدَ الْبَيَانِ لَا مَا أَتَوْهُ وَلَا مَا أَتَتْ

وقال في الثاء الثالث عشر الثاء

عَلَيْهِ رَى مِنْ صُوَرٍ قَدْ عَتَتْ وَمِنْ كُتُبٍ دَافِنُهَا إِذْ جَثَتْ

وَنَفْسٍ تَمَتْ لِدَيْدَنِ الطِّبَاعِ فَلَمَّا أَصَابَتْ مُنَاهَا غَثَتْ

وَحَاتَ لَدَى حَالِمٍ خَيْمُهَا وَفِي عَرْقِ لَعْبِهَا جَثَتْ

فَلَا تَرْتَئِنَّ لَهَا إِنَّهَا لَجَهْلٍ فِي ضَعْفِهِ مَا رَثَتْ

اعْصِ حَرْفَ الثَّاءِ وَاسْتَهْجِمْ حَرْفَ الثَّا الثَّالِثَ الْمَضْمُومَ

وقال أحمد عبد الله في الثاء المضمومة مع العين والطويل الأول

يَا لَيْتَ أَكْفَانِي وَرَمْسِي مَنْزِلِي وَعَيْشِي حِمَامِي وَالْمَنِيَّةُ لِي بَعْثُ

تَجَلَّى بِأَسْنَى الْحُلْيِ وَاجْتَلَى الْغِنَى فَأَفْضَلُ مَنْ أَمْسَى لَدَيْهِ النَّقْرُ الشَّعْثُ

يَبِيتُونَ بِالْأَقْدَامِ فِي سُبُلِ الْهُدَى إِلَى اللَّهِ حَتَّى مَا نَوَطَّأَ أَوْ وَعْثُ

وَمَا فِي يَدٍ قَلْبٌ وَلَا اسْتَوْفَتْ ثَرًى وَلَا اسْتَفْهَقَتْ نَاجٍ وَلَا أَدْنَرَ عَثْ

وَيْكَ إِنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ يُوَمِّمُ أَرْضَهُ بِالنَّارِ

كَمْ مُسْلِمٍ عَبْدَ الْهَوَى فَوَجَدْتَهُ فِيمَا يُجَلُّ كَجَاقِدِ النَّارِ

كَذَبُوا إِنْ ادَّعَوُا الْهُدَى وَجَمِيعُهُمْ يَسْرُونَ فِي شَبَهٍ بِعِرْمَارِ

فَاهْرُبْ بِدِينِكَ مِنْ أُولَئِكَ إِنَّهُمْ جَرَبُولٌ وَاجْتَنِبُوا عَلَى الدِّينَارِ

وقال أيضا في الراء المكسورة مع الشين

يَا شِهْبَ إِلْبٍ فِي السَّمَاءِ قَذَمَّهُ وَأَشْرَبَ الْهَكَمَاءَ كُلَّ مُشَارِ

أَخْبِرْ بِعَوْرٍ يَكُونُ مِنْهُمَا فَتَخَيَّرْ مِنْ جَارِبِ الْإِشَارِ

مِنْ لِلْمُلْكِ تَبَّعٍ أَوْ قَيْصَرٍ لَوْ كَانَ مِثْلُ سُهَيْلِكَ الْعَثَارِ

صَمَّاجَشًا أَدْنَى الْكَمِيِّ وَدُرَيْمِيَ كَمْهَةٍ أَجَلَّ سَابِرِيِّ سَارِ

وَالدَّهْرُ مُفْنِي الْغَوَابِلِ مُهْلِكُ رَبِّ الْحِسَامِ وَجَابِلِ الْمِسْمَارِ

وَالنَّاسُ فِي ضِدِّ الْهُدَى يَتَشَيَّعُ لِلْمِ الْعُلُوِّ وَنَاهِتِي سَارِ

بَجَلِ الْأَنَامِ فَهَلْ تَرَى مِنْ قَارِلٍ أَفْنَى عِشَارَ الْكَوْمِ جَزْعَ عِشَارِ

وَكَأَنَّ بَقِيَّةَ الْعَرَابِ بَجَلَتْ أَنَّ الْخَلِيطَ بَجَلَ فِي بَعْثَارِ

وَالْعَمْرُ مَقْسُومٌ عَلَى الْأَكْوَانِ بِالْجَدِّ الْأَوَّلِ وَلَيْسَ لِلْأَعْثَارِ

وقال أبو الراء المكسورة مع الشين

زجر النابح

« مقتطفات »

(١)

إذا نَزَلَ المِقْدارُ لَمْ يَكُ للقطا نُهوضٌ ولا للمُخْدِراتِ إباءُ(*)

قال أبو العلاء تعليقاً على هـذا البيت :

الذين [يقرّون للبشر](١) بعلم الغيب والمُلْحِدَة لا يقولون بالقدر و [إنما المؤمن من](٢) يصدّق بالخطاب المنزل ، بدليل قوله تعالى : ﴿ الله يعلم ما تحمل كل أنثى ... الآية(٣) ﴾ [وقوله :

(★) من قصيدة في لزوم ما لا يلزم (١ : ٣٢) مطلعها :

أولو الفضل في أوطانهم غرباء تشدُّ وتنأى عنهم القُرَباء

والمخدرات : الأسود التي تلزم خدرها ، أي عرينها . ومعنى البيت أن القضاء إذا حمّ أعجز القطا عن النهوض ، وأفقد السباع عزّتها وأنفتها .

(١) ما بين القوسين مطموس في الأصل . وقد أصاب الطموس هذا النص في عدة مواضع لوقوعه في طرف الصفحة الأولى من الكتاب وتعرّضه للرطوبة والبلى من جرّاء ذلك .

(٢) ما بين القوسين مطموس في الأصل .

(٣) سورة الرعد : ٧ .

﴿ قل لا يعلم من في السموات والأرض][1] الغيب ... الآية ﴾[2]
هذا كلامه في زجر النابح ه .

٢ — ب

(٢)

وما أدَبَ الأقوامَ في كلِّ بَلْدَةٍ إلى المَيْنِ إلاّ معشرٌ أدَباءُ[*]

قال ابو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في هذا البيت :

المعنى في هذا البيت أن الحسن بن هانئ[3] وعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي[4]

(١) ما بين القوسين مطموس في الأصل .

(٢) سورة النمل : ٦٥ .

(★) من القصيدة آنفة الذكر . وأدب الأقوامَ إلى المين : دعاهم إلى الكذب والباطل . وفي البيت تنديد بالأدباء الذين يرغبون الناس في الباطل ويحملونهم على الضلال .

(٣) الحسن بن هانئ : هو أبو نواس الشاعر المشهور الذي عاش في صدر الدولة العباسية ، وكان منسوباً إلى الزندقة ، توفي سنة ١٩٨ هـ .

(٤) عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي : من شعراء الشام في صدر الدولة العباسية . له ترجمة في طبقات الشعراء المحدثين لابن المعتز (طبعة دار المعارف بمصر ١٩٥٤ ، ص ٢٧٦ — ٢٨٠) ويبدو مما تبقى من شعره موزعاً في كتب الأدب والمختارات أن أسلوبه عربيّ خالص متأثر في الإسلام وخالٍ من كلّ ما يثبت انتسابه إلى العصبة المتزندقة التي يشير إليها المعرّي . انظر بحثاً عن هذا الشاعر للأستاذ خليل مردم بك =

وزياد بن عبد الله[1] وغيرهم من المتأدبين المعروفين بنظام الكلام كانوا يعتقدون مذهب الفلاسفة فيدعون الناس إلى المين ، أي : الكذب . فهذا برهان يأتلق كائتلاق الشمس ، ويردّ الطاعن كخبيء الرمس . لأنّ هؤلاء جُعلوا دعاة مين ونُسِبَ قولهم إلى الشّين . هذا كلام الشيخ أبي العلاء ردّاً على من اعترض عليه في أبيات من لزوم ما لا يلزم ، فيها هذا البيت الذي هو : وما أدب الأقوام ... ووَسَمَ الكتابَ الذي ردّ فيه على المعترض بزجر النابح ه .

٢ — ب

= في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (الجزآن ٣ و ٤ من المجلد ٣٢ الصادر في سنة ١٩٥٧) .

(١) لا يُعرف بين شعراء العصبة التي يشير إليها المعري شاعر بهذا الاسم . ولعلّ المقصود يحيى بن زياد بن عبيد الله بن عبدالله الحارثي ، أحد شعراء صدر الدولة العباسية وصديق مطيع بن إياس وحمّاد عجرد ووالبة بن الحباب وغيرهم ، وكان مثلهم منسوباً إلى الزندقة . انظر ترجمته في تاريخ بغداد (ج ١٤ ، ص ١٠٨ — ١٠٩) . وانظر فصلاً في أخبار هؤلاء الشعراء الدهريين والزنادقة والمتهتكين الذين يعنيهم أبو العلاء في أمالي المرتضى (طبعة دار إحياء الكتب العربية بمصر في سنة ١٩٥٤ ، ص ١٤٣ — ١٤٤) .

(٣)

١ ــ يعيِّرنا لفظَ (المعرّةِ) أنَّها من (العُرّ) قومٌ في العُلا غُرَباءُ [٤]

٢ ــ فإنّ (إباءَ) اللَّيْثِ ما حَلَّ أنفَهُ بِأنَّ مَحَلّاتِ اللّيوثِ (أباءُ)

٣ ــ وهل لِحَقَ (التَّثريبُ) سكّانَ (يَثرِبٍ)

من النـاس ؟ لا بَلْ في الرجالِ غَباءُ

٤ ــ هُمُ ضارَبوا أولادَ فِهْرٍ وجالدوا على الدينِ إذ وشيُ المُلوكِ عَباءُ

قال ابو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في البيت الثالث :

هذا البيت تقريظ للأنصار لما فعلوه من نصر الرسول ﷺ وقتالهم من عانده . ولو أنّ الأمر على ما حكاه هذا المبطل لوجب

(★) من قصيدة في لزوم ما لا يلزم مطلعها :

تكرم أوصال الفتى بعد موته وهن إذا طال الزمان هباء

والمعرة : بلد أبي العلاء ، والعر : الجرب ، والإباء بكسر الهمزة : الأنفة والامتناع ، وبفتح الهمزة القصب أو الآجام التي يكثر فيها . والتثريب : اللوم ، ويثرب : المدينة المنورة . وأولاد فهر : قبائل قريش . وفي هذه الأبيات وما يليها في القصيدة — راجع الديوان — إشارة إلى سخف الناس حين ينخدعون بالألفاظ فيتشاءمون بها أو يستبشرون بها .

ألاّ [.....] [١] حظها من التثريب . وإنّ أولئك القوم بُرآء منه لما صنعوه إلى النبي ﷺ ه . هذا كلامه في هذا البيت من الزجر .

٢ ــ ب

(٤)

١ ــ سألتُ رجالاً عن معدٍّ ورهطِهِ وعن سَبَإٍ ما كان يَسبي ويَسبأُ [٥]

٢ ــ فقالوا : هي الأيّامُ لم يُخلِ صرفُها

مليكاً يُفدّى أو نَقِيّاً يُنبّأُ

قال ابو العلاء تعليقاً على البيت الثاني :

فأرغم الله أنف المتخرّص [٢] ، ولا زالت الذلة معقودة منه

(١) عبارة مطموسة في الأصل ، ولم نطمئن إلى تقدير ما يحل محلها .

(★) مطلع قصيدة في لزوم ما لا يلزم (١ : ٣٧) . ومعدّ : هو معد بن عدنان ، وسبأ : هو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وزعموا أن سبأ لقب لقب به بعد أن غزا مصر وحمل منها الأسرى والسبايا ، وأن اسمه عبد شمس ، وقيل عامر . وسبأ الحر : اشتراها ليشربها . ومعنى البيتين أن جميع الناس ينزلون على حكم الموت فلا يعفى منه مليك يفدى بالأنفس والأموال ولا تقي يقر الناس بورعه ونبوته .

(٢) المتخرص الكذاب .

بمعطس ، فما ناضل بسهم مُقَرْطِس[1] . أليس قول القائل : « أو تقياً ينبأ » شهادة بالتقوى للأنبياء ، وأنهم خلصان[2] الأولياء ؟ وأن المنية لو تحامت مخلوقاً ، لعرفت لأولئك النفر حقوقاً . ولكنها تجمع بين القطن والغبي ، وتأتي على النبأ والنبي ه . هذا كلامه ، من الزجر ه .

٣ — ب

(٥)

١ — يا عالمَ السوء ما علمنا أنّ مُصلّيكَ أتقياء[*]

٢ — لا يكذبنّ امرؤ جهول ما فيكَ للهِ أولياء

قال أبو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في هذين البيتين :

هذه مخاطبة لعالَم السوء دون عالَم الخير . ومعلوم عند كلّ ذي

(١) السهم المقرطس : الذي يصيب القرطاس ، أي الهدف .

(٢) الخلصان : الذي خلصت سريرته ومودته ، يستوي فيه الواحد والجماعة .

(*) من قصيدة في لزوم ما لا يلزم (١ : ٤١) مطلعها :

قد حُجِبَ النورُ والضياءُ وإنما ديننا رياءُ

لبّ أنه ليس فيمن وُصف بذلك خير ، ولا يُلتمس عنده مَير[1] . ولو قال القائل لمن هلك من ثمود أو عاد : ما فيكم وليّ لله ، لكان صادقاً بَرّاً . وفي هذه الأمة معشر كفرةٌ كلهم يزعم أنه لله وليّ ، وأنّ شيوخه الذين يأخذ عنهم أبرار أتقياء . وكل فرقة مدّعية على الأخرى ضدّ ذلك . وفي الكتاب العزيز : ﴿ وإنّ كثيراً من الخُلَطاء لَيَبْغي بعضُهم على بعضٍ إلاّ الذينَ آمنوا وعملوا الصالحاتِ وقليلٌ ماهُم[2] ﴾ . وإنّ هذا لصدق خالص ، إن الصالحين في البشر لأقل من الغراب الأعصم[3] بين الغربان ، وأفقد من التمرة في غير الإبّان . وأما ذمّ المصلين الذين ينطوون على نية ليست بجميلة فقد نطق به الكتاب الكريم في قوله تعالى : ﴿ فويلٌ للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون[4] ﴾ .

(١) المير : من قولهم مارَ عياله يَميرُاً وامتار لهم ، أي جلب لهم الطعام .

(٢) سورة ص : ٢٤ .

(٣) الغراب الأعصم : الذي في أحد جناحيه ريشة بيضاء . وقيل : هو الذي إحدى رجليه بيضاء . وقيل : هو الأبيض الجناحين أو الرجلين . وهذا الوصف في الغربان عزيز لا يكاد يوجد .

(٤) سورة الماعون ٤ — ٥ .

وقد كان بعض الناس ممن شاهد النبي ﷺ يحضر الصلاة خلفه، ثم تبين أنه ضالّ مخالف بدليل قوله تعالى: ﴿ وإذا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إليها وتَرَكوكَ قائِماً، قلْ ماعندَ اللهِ خيرٌ من اللَّهْوِ ومنَ التجارَةِ، واللهُ خيرُ الرّازقين[1] ﴾. كان دِحْيَةُ بنُ خليفة الكلبي[2] يقدم بالتجارة من الشام، فإذا قرب من المدينة ضرب له طبل ليخرج إليه من يرغب في الشراء. واتفق أنه قدم والنبي ﷺ في الصلاة. فلما سمع مَن خلفه صوت الطبل تركوه قائماً وتبادروا إلى التجارة فنزلت هذه الآية ه. هذا كلامه في الرد على المعترض عليه في هذا: «ياعالم السوء ...» والبيت بعده: «لا يكذبنّ ...»، من زجر النابح.

(١) سورة الجمعة: ١١.

(٢) دحية الكلبي صحابي شهد موقعة اليرموك. انظر مصادر ترجمته في (الأعلام ٣: ١٣).

(٦)

١ — وقدْ فَتَّشْتُ عنْ أصحابِ دينٍ لهمْ نُسكٌ وليسَ بهمْ رياءُ[*]

٢ — فألفيتُ البهائمَ لا عقولٌ تُقيمُ لها الدّليلَ ولا ضِياءُ

قال ابو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في هذين البيتين:

الكلام في هذين البيتين أنّهما خرجا على الخصوص لا على العموم. لأنّ جميع الملل المخالفة إذا كُشف عنهم وُجدوا كذلك. والكلام طالما دلّ ظاهره على انتظام الجنس وهو مقصور على بعضٍ دون كلّ. أليس قوله تعالى: ﴿ إنّ المجرمينَ في عذابِ جهنّمَ خالدونَ. ﴾[1] دليلاً في الظاهر على أنّ كلّ مجرمٍ يجب أن يُخلّدَ في العذاب؟ والكتاب الكريم شاهد بأن المجرم إذا تاب خرج من حكم الإجرام إلى حكمٍ سواه. وذلك أكثر من أن يحصى في القرآن وفي كلّ كلامٍ فصيح. ومما يدلّ على أن المجرمين ليسوا

(★) من قصيدة فى لزوم ما لا يلزم (١: ٤١) مطلعها:
لقد ذهبَ المروءةُ والحياءُ تعالى رازقُ الأحياء طرّاً

(١) سورة الزخرف: ٧٤

على العموم في الآية قوله تعالى : ﴿ إنَّ اللهَ لا يغفرُ أن يُشرَكَ بهِ ، ويغفرُ ما دونَ ذلكَ لمنْ يشاء ، ومَن يُشركْ باللهِ فقد ضلَّ ضلالاً بعيداً . ﴾[1] هـ . هذا كلامه في الردّ على المعترض عليه في هذين البيتين من زجر النابح .

٥ — آ

(٧)

١ — ولَستُ كمنْ يقولُ بغيرِ علمٍ سَواءٌ مِنكَ فَتكٌ واتّقاءُ[*]

٢ — فقدْ وَجبتْ عليكَ صلاةُ طُهرٍ

إذا وافاكَ بالماءِ السّقاءُ

قال أبو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في البيت الأول :

ألصقَ اللهُ العَفرَ بنَفِرَةِ[2] هذا المتقوّلِ ، فما وُفّقَ لِهَدْيِ المتأوّلِ .

---

(١) سورة النساء : ١١٦ .

(*) من قصيدة في لزوم ما لا يلزم (١ : ٤٣) مطلعها :

أسِيتُ على الذوائبِ أنْ علاها نهاريُّ القميصِ له ارتقاءُ

(٢) العفر : التراب ، والنفيرة : النقرة التي في وسط الشفة العليا تحت الأنف .

ومن سجيّةِ الملحدينَ أن يعتقدوا سفكَ الدم من الموحّدين . أليس الجنّابيّ[1] قتل في الحرَم زَرافة[2] من الناس ، لاشتماله من الآجلة على ياس ؟ وكان في بني عُقيل أميرٌ يُعرف بمحمد بن مُقنِ قد أظهر التديّن ومحبـــة الخير . فكان يخبر أنه دخل مكة مع القِرمطيّ[3] وقتل في الحِجْر ثلاثة عشر رجلاً بيده ثم رجع بعد ذلك إلى المنهاج القويم . فلعلّه ممن يقبل له توبة ، ويسمع دعاؤه والحوبة[4] ! هـ . هذا كلامه في هذا البيت ، أعني : « ولست كمن يقول بغير علم .. » ، من الزجر .

٥ — ب

---

(١) الجنّابي ـ نسبة إلى جنّابة : بلدة صغيرة على ساحل الخليج الفارسي ـ : هو سليمان بن الحسن القرمطيّ من زعماء القرامطة . توفي سنة ٣٣٢ هـ . (ترجمته في الأعلام) . وسيرد ذكر الجنّابي في هذه النصوص غير مرّة . وقد ذكره المعريّ في (رسالة الغفران : ٣٨٤) فقال : « وأما الجنابيّ ، فلو عوقب بلدٌ بمن يسكنه لجاز أن تؤخذ به جنّابة ، ولا يُقبل لها إنابة . »

(٢) الزَرافة : الجماعة .

(٣) القرمطيّ : هو الجنّابي الذي مرّ ذكره . وقد دخل مكة سنة ٣١٧ هـ واقتلع الحجر الأسود وأخذه إلى هَجَر . وقد أعيد الحجر إلى الكعبة سنة ٣٣٩ هـ .

(٤) الحوبة : الحاجة . ومن معانيها التوجع والتخشع ، وكذلك الخطيئة والإثم .

(٨)

١ ــ أفيقوا أفيقوا يا غُواةُ فإنّما دِياناتكمْ مَكرٌ منَ القُدَماءِ (*)

٢ ــ أرادوا بها جمعَ الحطامِ فأدركوا

وبادوا وبادت سُنّةُ اللُّؤَماءِ

قال أبو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في البيت الأول :

المعنى أنّ أهل الكتاب كانوا يمكرون بأتباعهم . وفي الكتاب العزيز : ﴿ومَكَرُوا ومَكَرَ اللهُ﴾ (١) . وفيه : ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هٰذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً﴾ (٢) . وهذا من المكر . وكثيراً ما يقول اليهودُ في ألفاظهم وحديثهم : ذكر قدماؤُنا كذا ، وخبّر قدماؤنا ذلك . فبُني الأمر على هذا النحو . ه . هذا كلامه في هذا البيت ، من الزجر .

٩ ــ ب

(*) من قصيدة في لزوم ما لا يلزم (١ : ٥٣) مطلعها :

إذا كانَ علمُ الناسِ ليس بنافعٍ ولا دافعٍ ، فالحُشْرُ للعلماءِ

(١) سورة آل عمران : ٥٤ .

(٢) سورة البقرة . ٧٩ .

(٩)

١ ــ يَقولونَ : إنّ الدّهرَ قدْ حانَ موتُهُ

ولمْ يَبْقَ في الأيّامِ غيرُ ذَماءِ (*)

٢ ــ وقدْ كَذَبوا ، ليسَ الزّمانُ بمُنْقَضٍ

فلا تَسْمَعوا مِنْ كاذِبِ الزُّعَماءِ

قال أبو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في البيت الثاني :

المعنى : أنّ الزمان خلقه الله سبحانه وجعله أجزاءً يحدث بعضها في إثر بعض ، لا فناء لها . وقد جاء في الشرع مثل هذا . لأنّا نقول : إن نعيم أهل الجنّة لا ينفد . والمراد أنه كلّما فني نعيم حدث بعده نعيم يتصل به من غير انفصالٍ ولا مهلة . وقول الناس : هذا آخر الزمان ، إنما يريدونَ به زمانَ الدنيا . ولا بدّ أن تكون الآخرة في زمانٍ يحدث منه شيءٌ في إثر شيء . وقد

(*) البيتان من القصيدة آنفة الذكر . والذّماء : بقية الروح في المذبوح والمحتضر .

نطق بـــه الكتاب العزيز ، لقوله تعالى : ﴿هـــذا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [1] و﴿هـذا يَوْمُ لا يَنْطِقونَ﴾ [2] و ﴿هـذا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْناكُمْ والأَوَّلِينَ﴾ [3] و ﴿الأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلّهِ﴾ [4] ، وغير ذلك . فقد عُلِم أنّ المعنيَّ بهذا يوم القيامة ، واليوم من أسماء الزمان ه — هذا كلامه في هذا البيت ه — .

(١٠)

١ — يرتجي الناسُ أن يقومَ إمامٌ
ناطق في الكتيبة الخرساء [*]

(١) سورة المائدة : ١١٩ .
(٢) سورة المرسلات : ٣٥ .
(٣) » » : ٣٨ .
(٤) » الانفطار : ١٩ .

(★) من قصيدة في لزوم ما لا يلزم (١ : ٥٥) مطلعها :
يا ملوكَ البلادِ فزتمْ بِنَسْءِ الـ ـمرِ والجورُ شأنكمْ في النّساء
والكتيبة الخرساء : هي التي صمتت من كثرة الدروع ، وقيل هي التي لا تسمع لها صوتاً من وقارهم في الحرب . والامام الناطق : المنتظر قيامه عند الشيعة ليملأ الدنيا عدلاً كما مُلِئت جوراً .

٢ — كذبَ الظنُّ ، لا إمام سوى العقـ
ـلِ مُشيراً في صبحِهِ والمساء

٣ — إنّمـــا هـــذه المذاهبُ أسبا
بٌ لجذبِ الدنيا إلى الرؤساء

٤ — غرضُ القومِ متعةٌ لا يَرَقو
نَ لدمع الشمّاء والخنساء [1]

٥ — كالذي قام يجمع الزنجَ بالبصـ
ـرة [2] والقِرمطيّ [3] بالأحساء

(١) الخنساء : من كان أنفها قصيراً مع ارتفاع قليل في الأرنبة ، والشماء : من اتصف أنفها بالشمم ، أي ارتفاع القصبة وحسنها واستواء أعلاها .

(٢) والذي قام يجمع الزنج بالبصرة : هو الدعيّ العَلَويّ الذي قاد ثورة الزنج واكتسح البصرة سنة ٢٥٧ ه ، وظل يهدّد أمن الدولة العباسية سنين طويلة إلى أن قُتل سنة ٢٧٠ ه في أيام المعتمد على يد أخيه وقائد جيوشه الموفّق .

(٣) والقرمطيّ ، هو الحسن بن بهرام الجنّابي الذي قتل سنة ٣٠١ ه . وهو أوّل من أسس للقرامطة دولة في الأحساء في منطقة البحرين . وقد يكون المقصود ابنه سليمان بن الحسن الجنابي الذي مرّ ذكره [انظر النص (٧) : الحاشيتان ٢ و ٤] .

قال ابو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في البيت الثاني :

المعنى أن الانسان إذا سمع ما يخالف الشرعَ دله عقله على فضله ، فكأنه إمام له . وليس هذا انتقاصاً بإمام المسلمين ، ولكن هو مثل قولهم : « لا فتى إلاّ عليّ » أي شأنه عظيم وإن كان الفتيان كثيراً . ولا ريب أن الإمام يأتم بالعقل ويتدبّر به . وحدّث بعض من سافر إلى اليمن أنّ في جبالهم والمواضع القاصية من بلادهم نحواً من ثلاثين رجلاً كلّهم يدّعي أنه إمام مُنْتَظَر ، فيُجبى إليهم مال كثير ، وكلّ رجلٍ منهم يكفّر الباقين ويزعم أنّ سفك دمائهم حلال . فهذا الغرض في قول القائل : « كالذي قام يجمع الزّنج بالبصرة » ه . هذا كلام الشيخ ، من زجر النابح .

١٠ — آ

(١١)

١ — أقيمي لا أعدُّ الحجَّ فَرْضاً على عُجُزِ النّساء وَلا ٱلْعَذارى (*)
٢ — فَفي بَطْحاء مَكَّةَ شَرُّ قَوْمٍ وَلَيْسُوا بِالْحُماةِ وَلا ٱلْغَيارى

(★) مطلع قصيدة في لزوم ما لا يلزم (١ — ٦١) .

— ١٨ —

قال ابو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في هذين البيتين :

هذا مذهب قد قيل به في صدر الإسلام . وقد رُوِيَ أنّ بعض الصالحين أراد النهوض إلى الحج ، فجاءت امرأته تسأله أن يرحل بها معه ، فدفعها دفعة عنيفة وقال : الزمي بيتك ، فلا حجّ على مثلك لأنه شاقّ منصب .

فأما في هذا العصر فقد أفتى الجِلّة من الفقهاء بأن الحج ساقط عن الرجال المستطيعين للرواحل والزاد ، إذْ كان السالكُ في الطريق يلقى من الظمأ واعتراض البادية والسُرّاق الذين طالما سفكوا الدم ولم يقنعوا بأخذ الجَهاز والسلب ، ما يجعل الحجّ داخلاً في قوله تعالى : ﴿ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ (١) وإن كثيراً من الناس ليُقتل بالحَرَم إذا ظُنّ أنّ معه شيئاً يُغتنم . وقد أخبر الصادق أنه كان في الطواف فوجد رجلاً قد قُتل بالحجر . [وقوله تعالى : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى] (٢) كُلِّ ضامرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (٣) لا يعني به النساء ، وإنما يعني [.....] (٤) .

(١) سورة البقرة : ١٩٥ .
(٢) ما بين القوسين مطموس ، وقد أمكن تقديره اعتماداً على الآية الكريمة .
(٣) سورة الحج : ٢٧ .
(٤) ما بقي من النص مطموس ، يُقدّر بسطرين .

— ١٩ —

(١٢)

لعَلَّ قِرانَ هذا النَّجمِ يثْني إلى طُرُقِ الهُدىٰ أُمَمًا حَيارى(*)
فقد أودىٰ بِهِم سَغَبٌ وظِمْءٌ وأَيْنُقُهُمْ بِمَتْلَفَةٍ حَسارىٰ

قال ابو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في البيت الأول :

المعنى : لعلّ الله يهديهم بطلوع هذا النجم . وهذا على المجاز ، كما تقول : « أحسن إليّ يومُ الجمعة » ولم يُحسن إليك وإنما ذلك الإحسان من الله فيه . وهو كقولهم : « ليلٌ نائمٌ » وإنما يُنام فيه . قال الراجز :

فنام ليلي وتجلّى همّي وقد تجلّى كُرَبَ المُغْتَمّ

(*) من قصيدة في لزوم ما لا يلزم (١ : ٦١) مطلعها :

أقيمي لا أعد الحج فرضاً على عجز النساء ولا العذارى

والسَّغَب : الجوع ، والمتلفة : المفازة المهلكة ، والأينق الحسارى : التي أصابها الاعياء والتعب .

وقال جرير[1] :

لقد لمتِنا يا أُمَّ غيلانَ في السُّرىٰ ونِمتِ وما ليلُ المَطِيِّ بنائم

والغرض أن الله سبحانه يبعث لهذا الدين من يجدّده ، فقد روى أصحاب الحديث أنه لا بدّ في كل مئة سنة أن يقوم للإسلام قائمٌ يشدّ منه ويؤيده ه . هذا كلام الشيخ .

(١٣)

١ — ونومي موتٌ قريبُ النشورِ وموتي نومٌ طويلُ الكرى(*)
٢ — نُؤمِّل خالقَنا ، إنّنا صُرينا لمشربَ ذاكَ الصَّرىٰ

قال ابو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في البيت الثاني :

تأميل الخالق لمن ليس هو في الدين يالِق[2] . فأما الطائفة الذين

---

(١) من قصيدة له في ديوانه (ص ٥٥٣) مطلعها :

لا خير في مستعجلات اللاوم ولا في خليل وصله غير دائم

(★) من قصيدة في لزوم ما لا يلزم (١ : ٦٣) مطلعها :

سَرَيْنا وطالِبنا هاجعٌ وعند الصباح نحمدنا السرى

وصُرينا : جمعنا ، والصَّرى : الماء المستنقع الذي طال مكثه وتغير .

(٢) الآلق : الكاذب ، من قولهم ألق البرق إذا كذب فلم يكن فيه مطر .

يومئ إليهم هذا المموّه فلا يعقدون بالله الأمل ، ولا يسرّعون للأخرى العمل . ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون ﴾[1] ، وإنما ينسب إلى هذه النحلة من قال — وهو الوليد بن يزيد —[2] :

أدنيا مني خليلي عبداً دون الإزارِ
فلقد أيقنت أني غير مبعوثٍ لنارِ
واتركا من يطلب الجنـ ـة يسعى في تبارِ
سأروض الناس حتى يركبوا دين الحمارِ

وقال آخر ذكره صاحب كتاب الورقة[3] :

سقّني يا أسامهْ من عقار مدامهْ
سقّنيها فإني كافر بالقيامهْ

(١) سورة الشعراء : ٢٢٧ .

(٢) هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ، تولى الخلافة بعد وفاة عمه هشام بن عبد الملك سنة ١٢٥ هـ ، ومات مقتولاً في السنة التالية . انظر مصادر ترجمته في (الأعلام : ٩ — ١٤٥) . وقد وردت هذه الأبيات في ديوانه (ص : ٤٥) مع بعض الاختلاف .

(٣) صاحب كتاب (الورقة) هو محمد بن داود بن الجراح الذي وزر لابن المعتز العباسي يوم خلافته ثم قتل معه سنة ٢٩٦ هـ . انظر مصادر ترجمته في =

فهذه الطبقة الذين يجب لعنهم والتبرؤ منهم . فأما من يقول :

يُهنَّأُ بالخيرِ مَنْ نالَهُ وليسَ الهناءُ على ما هُنا[1]

فهذا شهادة بالدار الآخرة ، وحكمٌ بأن الدار الفانية لا ينبغي أن يهنأ الإنسان بما أُعطي فيها من خير لأنه زائل . وإنما يجب الهناء ، إذا رُفع موتٌ وعناء ، وصار من ينال ذلك في غبطة الأبد ، والخلاصِ من المضيق والكبد[2] ه . هذا كلام الشيخ أبي العلاء.

= (الأعلام : ٦ — ٣٥٥) . وكتابة (الورقة) طبع عام ١٩٥٣ في سلسلة ذخائر العرب التي تخرجها دار المعارف بمصر . ولا ذكر لهذين البيتين في الطبعة المشار إليها . وهذا يؤيد ما أشار إليه محقق الكتاب من أن في النسخة المخطوطة التي اعتمد عليها في نشره نقصاً ، ففي كتب الأدب والتراجم نصوص منقولة عن كتاب الورقة لا نجدها في هذه النسخة .

(١) قائل هذا البيت هو المعري نفسه (لزوم ما لا يلزم ١ : ٦٨) . وهو من قصيدة مطلعها :

حياةٌ عناءٌ وموتٌ غنى فليتَ بعيدَ حِمامٍ دنا

(٢) الكبَد : الشدة والمشقة .

لقد فُزتَ إنْ كُنْتَ تُعطى الجِنانَ بِمَكَّةَ إذْ زُرْتَها أوْ مِنى[*]

قال ابو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في هذا البيت :

هذا حثٌّ على الحجّ وندبٌ إليه ، كما يقول الرجل : « إنْ أُعطيتُ هذا الفرسَ بمئة دينار لقد فزتُ » أي إنه رخيص يساوي أضعاف ذلك . وإن خلود الأبد في النعيم ليُغتنَم بسفر سنين يُصبرَ فيه على فقدِ سنة وورود أمواهِ أسِنـــة . فكيف بِسَيرِ شهر ، تُحرَز به فوائد الدهر ه . — هذا كلامه من الزجر ه . —

١٥ — آ

(★) من قصيدة في لزوم ما لا يلزم (١ : ٦٧ — ٦٨) مطلعها :

حياةُ عناءٌ وموتٌ غِنى فليتَ بعيـــدَ حمامٍ دنا

وآلَوْتُ نَوْمٌ طويلٌ ما لَهُ أمدٌ والنَّوْمُ مَوْتٌ قَصيرٌ فَهْوَ مُنجابُ[*]

قال ابو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في هذا البيت :

هـــذا لا يَعترضُ فيه إلاّ رَجُلٌ جاهلٌ ، لأنّ كلّ جيل والمنتسبين إلى كلّ نحلةٍ لا يَدَّعونَ أنّهم يعرفون [وقت][1] النشورِ ما هو . والمعنى : ما لَهُ أمدٌ معروف . ومثل هذا في الكتاب العزيز من كتمان الساعة ومنع بني آدم من علم أوانها ، وفي أيّ جيلٍ يكون قيامها . والآياتُ مشهورة في الحذف ، وقد ذُكر بعضها فيما تقدّم[2] ه هذا كلامه في الردّ على المعترض .

١٩ — ب

(★) من مقطوعة في لزوم ما لا يلزم (١ : ٧٧) مطلعها :

يا صاح ما أَلِفَ الإعجابَ من نَفَرٍ إلا وهم لرؤوس القوم أعجابُ

الإعجاب — بكسر الهمزة — في صدر البيت : الزهوُ والخُيلاء ، وبفتح الهمزة في آخر البيت : جمع عَجْب — بفتح فسكون — وهو أصل الذنب .

(١) الكلمة مطموسة في الأصل .

(٢) سبق للمعريّ أن عرض لما يقرب لهذا المعنى في النص (٦) .

(١٦)

١ ــ لا تُطيعي هَواكِ أيَّتُها النَّفْ سُ فَنُعْمى المَليكِ فينا رَبيبَهْ(١)

٢ ــ فابْنُ جَحْشٍ لَمّا تَنصَّرَ لَمْ تَرْ كَنْ إلى ما يَقولُ أمُّ حَبيبَهْ

٣ ــ وبِلالٌ يَحْكي ابْنَ تَمْرَةَ في الخِـفَّـةِ أوْفى مِنْ عَنتَرَ بْنِ زَبيبَهْ

قال أبو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في البيت الثالث :

بلالٌ مؤذّن النبيّ صلى الله عليه . وابن تمرة طائر صغير . وعنترة العبسي أحد رجال العرب وفصحائها . ولولا موضع الرسول صلى الله عليه لم يكن بلال من عنترة في شيء ، ولكان إذا قِيسَ

(★) مطلع قصيدة في لزوم ما لا يلزم (١ ١٠٥) .

وابن جحش : هو عبيد الله بن جحش الأسدي ، وكان فيمن هاجروا إلى الحبشة في الهجرة الثانية وهناك ارتدّ وتنصّر . وأم حبيبة : من أمهات المؤمنين ، وهي رملة بنت أبي سفيان ، أخت معاوية . وكانت زوجة عُبيد الله ابن جحش ، هاجرت معه إلى الحبشة . ولما تنصّر أعرضت عنه إلى أن مات ثم خطبها الرسول ﷺ وتزوجها سنة ٧ هـ . (الأعلام : ٣ ــ ٦٠) وزبيبة أم عنترة العبسي . وكانت حبشية .

إليه كالحصاة عند [الهضاب](١) ، والقطرة الواحدة في الوابل من السحاب هـ . هذا كلامه .

(١٧)

١ ــ أرَى عالَماً يَرْجونَ عَفْوَ مَليكِهِمْ
بِتَقْبيلِ رُكْنٍ وَاتِّخاذِ صَليبِ(٢)

٢ ــ فَغُفْرانَكَ اللّهُمَّ ؛ هَلْ أنا طارِحٌ
بِمَكَّةَ في وَفْدٍ ثِيابَ سَليبِ ؟

٣ ــ وَهَلْ أرِدُ الغُدْرانَ بَيْنَ صَحابَةٍ
يَمانينَ لَمْ يَبْغوا اخْتِفارَ قَليبِ؟(٣)

---

(١) في الأصل : الهضب . وصيغة الجمع أولى لما هو معلوم من ولوع أبي العلاء بالسجع في مثل هذا الموضع .

(★) من قصيدة في لزوم ما لا يلزم (١ : ١١٨) مطلعها :

متى عـدد الأقوام لباً وفطنة فـلا تسأليني عنهمُ وسلي بي

(٢) والقليب : البئر وتجمع على قُلُب . وقوله : لم يبغوا احتفار قليب ، أي جاءوا للعبادة فهم لا يشغلون وقتهم بحفر الآبار بغية العثور على المياه العذبة ، ويكتفون بورود المياه الآجنة في الغدران .

قال ابو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في البيت الأول :

المعنى : أنّ أفعال العالمَ تشتبه ، وهي مع ذلك على ضربين : هُدىً وضلال . وكلّ ملّة لها صلاة ، وإنما الفضيلة لصلاة الإسلام. وكذلك إعظامهم ما يعظّمون من المواطن التي لا يجب أن تعظّم ولا تُكرَّم هو مشابه لإعظام المتحنّفين [1] ما أُمروا بتعظيمه . فالأفعال تشتبه ، والفَطِن يتدبّر فينتبه ، ويعلم أنّ فضيلة الحنيفيّة ليست بالخافية ، ويشهد على المخالفين بالألباب الهافية [2] . والدليل على أنّ هذا المتكلّم [3] قد يذهب إلى أن تقبيل الركن تنسُّك ، وبجبال الشرع تمسُّك ، وأن تقبيل الصُّلْب عصيان ، ضلّتْ به الدُّلف [4] والفِتيان ، قوله بعد هذا البيت وهو متأسف على ما يفوته من ورود مكة وطرحِ سَلَبه [5] للأثام ، رائماً بما صنع خير المرام ،

(١) المتحنفون : المسلمون ، والحنيفية الاسلام .
(٢) الألباب الهافية : العقول الضالة .
(٣) هذا المتكلم : أبو العلاء المعري .
(٤) بتخفيف اللام مع الضم : جمع (دَلوف) ، وبتشديدها مع الفتح : جمع (دالف) ، من قولهم دلف الشيخ إذا مشى رويداً مقارب الخطو ، ودلف الرجل الجمل أثقله . والدليف كالدبيب .
(٥) السَّلَب : ما يسلب ، والجمع أسلاب ، وكل شيء على الانسان أو معه من ثياب وسلاح ودابة . وهو (فَعَل) بمعنى (مفعول) ، أي مسلوب .

ومتلهّف على أن يرد ما أجنَ [1] من الغدران ، في وفدٍ كلّهم من الظماء كالسدران [2] ، ما شُغلوا بحفرِ القُلُب ، والتفريشِ في العاجلة والتقلّب [3] ، قوله : « فغفرانك اللّهمّ ... » وقوله : « وهل أردُ الغدرانَ ... » ه . هذا كلامه في الرد والاعتذار .

(١٨)

١ — لَقَدْ تَرَفَّعَ فَوْقَ ٱلْمُشْتَري زُحَلُ
فَأَصْبَحَ الشَّرُّ فينا ظاهِرَ ٱلْغَلَبِ [4]

٢ — وَإِنَّ كَيْوانَ وَٱلْمَرِّيخَ ما بَقِيا
لا يُخْلِيانِكَ مِنْ فَجْعٍ وَمِنْ سَلَبِ

(١) أجنَ الماء : تغير ، فهو آجن .
(٢) السَّدْران : الذاهل المتحير .
(٣) انظر الحاشية (١) في هذا النص . والتفريش : من تفريش الدار ، أي تبليطها وبسط الآجر والصفيح فيها ، وقد تكون من تفريش الزرع ، أي امتداده وانتشاره . والتقلب : لعلها من التقلب في الأمور بمعنى حسن التصرف فيها ، أو من التقلب في النعمة بمعنى التمتع بها .
(★) مطلع مقطوعة في لزوم ما لا يلزم (١ : ١٢٠) .

قال ابو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في هذين البيتين :

المعنى أن الله سبحانه جعل الكواكبَ تجري بأمره ، فإذا حلّ الكوكب الفلانيّ بموضع كذا ، أوجبَ ذلك حدوثَ أمرٍ ، كما أنّ النار إذا أُلقيت في شيء أوجبت حريقه ، والسيل إذا مرّ بمكان غادرَ فيه غثاءه وترنوقه[1] ، وأحدث في الأرض الثأد[2] ، وذلك بتقدير الله جلّ سلطانه . وعلى هـــذا القول حمل بعض المفسّرين قوله تعالى : ﴿ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾[3] . وقالَ الناسُ : « أحرقتِ النارُ الحطبَ » على هذا المجاز . وذلك مذهب الشرعيّة . ومنه قولهم : « نفع الشرابُ العليلَ » لا يسلّمون أن الشرابَ ينفع العليل ، ولكنّ الله أجرى العادة أن يَمُنَّ بالنفع إذا شُرِبَ . وفي الكتاب العزيز : ﴿ نَزَّاعَةً لِلشَّوَىٰ ﴾[4] فجعل الفعل للنار ، وإنما الله سبحانه أجرى العادةَ أن يألمَ الإنسان إذا مسّته النـار .

---

(١) الترنوق — بفتح التاء وضمها — : الطين في الأنهار إذا نضب عنها الماء .
(٢) الثأد — بفتح الهمزة وتسكينها — : النبات الناعم الغض .
(٣) سورة النازعات : ٥ .
(٤) سورة المعارج : ١٦ ، والشوى : جمع شواة وهي جلدة الرأس .

وعند المتكلّمين أنهم لو سلّموا أن النار تحرق بفعل نفسها ، وأن الشراب ينفع بفعل نفسه ، لكان ذلك موافقةً للذين يزعمون أنّ الأشياء تكوّنت بالطباع ه . هذا كلامه في هذين البيتين المتقدمين ، من زجر النابح .

(١٩)

١ — تِلْكَ ٱلْيَهودُ فَهَلْ مِنْ هائِدٍ لَهُمُ ؟
وَالصَّابِئونَ ، وَكُلٌّ جاهِلٌ صابِ[*]

٢ — وَٱلإِنْسُ ما بَيْنَ إِكْثارٍ إلى عَدَمٍ
كَالْوَحْشِ ما بَيْنَ إِمْحالٍ وَإِخْصابِ

(★) من قصيدة في لزوم ما لا يلزم (١ : ١٢٠) مطلعها :
الدهر ينسخُ أولاه أواخرُه فلا تطيلَنّ بهذا اللوم إنصابي !
وقوله : هل من هائدٍ لهم ؟ من هاد يهود بمعنى تاب ورجع إلى الحق .
وقوله : وكل جاهل صابٍ : من صبا يصبو بمعنى مال إلى الجهل والفتوة .
وقوله : فيحكموا بين رقّاصٍ ونصّاب : أي بين أنصـــار عليّ بن أبي طالب وخصومه .

٣ــ لَمْ يُثْبِتوا بِقِياسِ أَصْلَ دِينِهِمْ
فَيُحْكِمُوا بَيْنَ رُفَاضٍ وَنُصَابِ

قال ابو العلاء تعليقا على هذه الأبيات ولا سيما الأخير منها :

المعنى أن بعض اليهود والنصارى يُدخلون أنفسهم بين المسلمين ، فمنهم من يُغلّب رأي السنّة ، ومنهم من ينتصر للشيعة . وإنما يريدون بذلك التقرب إلى رؤساء المسلمين هـ . هذا كلام الشيخ في هذا البيت ، من الزجر .

ما الركن في قول ناسٍ لست أذكرهم إلاّ بقيّةُ أوثانٍ وأنصاب(*)

قال ابو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في هذا البيت :

قد كثر القول في الركن واختلفت فيه الألسن . وحدثني الشريف أبو إبراهيم محمد بن أحمد أن القرمطيّ(١) إنما أخذ الركن من مكة

(*) البيت من القصيدة آنفة الذكر ، والركن : الحجر الأسود .
(١) هو سليمان بن الحسن الجنابي القرمطي الذي مر ذكره في النصين (٧) و (١٠) .

ليعظمه ويشرفه وذلك أنه يعتقد أنه يد الصنم الذي وضع على هيئة زحل ، نستغفر الله من هذا وغيره .

وزعم قوم أنه كان درّةً بيضاء وأنه اسودّ من ذنوب بني آدم . وروى بعضهم أن الله جلت عظمته لما أشهد بني آدم على أنفسهم ، وذلك في أول الخليقة ، كتب العهد في كتاب ودعا الركن فقال له : افتح فاك ، فأودعه في فيه إلى يوم القيامة . [وقد روي عن عمر رضي الله عنه أنه قبّل](١) الركن وقال : « إني لأعلم أنك حجر لا تضرّ ولا تنفع ، ولولا أنني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك لما قبلتك . » وإذا كان الله عزّ سلطانه ينقل بني آدم من حالٍ إلى حال ، فيجعل الصعلوك ملكاً والجاهل عالماً والفاجر تقياً ، فغير منكر أن يفعل في الأحجار وغيرها مثل ذلك وقد [يرفعها](٢) إلى الشرف الأعظم في الدنيا والآخرة . وليس يمتنع أن يكون الحجر مستعملاً [في أمرٍ](٣) غير حميد ثم يرفعه الله سبحانه فيجعل [فيه](٤) البركة ذَرَعاً إلى تنسّك ورحمة . ومعلوم بين

(١) العبارة مطموسة في الأصل ، وقدّر ما بين القوسين بالرجوع إلى صحيح البخاري (كتاب الحج) .
(٢) و (٣) و (٤) : هذه الكلمات مطموسة في الأصل وقدرت تبعاً لمقتضى الكلام .

الناس أن العرب إذا قلّ ماء السفر عمدوا إلى الحصاة الملقاة فجعلوها حاكمة في حظوظهم ، يجعلونها في الإناء ويصبون عليها ما يغمرها من الماء ، فيشرب كلّ واحد منهم نصيبه . ويسمونها حصاة القَسم والمَقْلة ، قال زهير[1] :

جونيّة كحصاة القَسم مرتعها بسيٌ ما نبتت القفعاء والحَسَكُ

وقال آخر[2] :

ألم ترني رددت على عـديّ وقـد حـ هواديَها نِعا

حشاشتـه وبنتَ إذا ما استورف القوم السحابا

هذا كلام الشيخ .

٣٦ — آ

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى من كافيته المعروفة (الديوان : ١٦٤) التي مطلعها :

بان الخليطُ ولم يأووا لمن تركوا وزودوك اشتياقاً أيّة سلكوا

والبيت في وصف قطاة يشبهها الشاعر بحصاة القَسم لأنها مستوية ملساء لا حروف فيها . والقطاة الجونية التي فيها سواد ، والسي : ما استوى من الأرض ، والحسك والقفعاء : من نبات البادية . يريد أن هذه القطاة في خصب . وذلك أشد لها وأسرع لطيرانها .

(٢) لم نعثر على النص الصحيح لهذين البيتين .

١ — وَجِبِلَّةُ الناسِ الفسادُ فَضَلَّ مَنْ

يسعى بحكمتِهِ إلى تهذيبِها(*)

٢ — يا ثَلَّةً في غفلة وأُوَيسُها ال

قَرَنيُّ مثلُ أُوَيسِها أي : ذيبِها

قال أبو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في البيت الثاني :

المعنى أن الناس في هذا العصر يظهرون الزهد في الدنيا وهم أشرار يرغبون فيها . ومعاذَ الله أن يُعنى به أُوَيسٌ القَرَنيّ رضوان الله عليه . وهذا كما تقول : « رشيدُ بني فلان غويّ ، وبَرُّهم

(*) من مقطوعة في لزوم ما لا يلزم (١ : ١٣١ — ١٣٢) ، مطلعها :

كم أُمَّة لعبتْ بها جُهّالُها فتنطّست من قبلُ في تعذيبها

والثلّة — بضم الثاء — : الجماعة من الناس ، — وبفتحها — : الجماعة من الغنم . وقد ضبطت في المخطوط بالفتح وأويس القرني : من نساك التابعين شهد صفين مع علي بن أبي طالب (الأعلام ، : ٣٧٥) ، والأوس : الذئب ، ومصغره أويس .

فاجر ، ودَيْنُهم لا دين له . » وهذا كلام خرج على الخصوص ، لأن العالم كلّه ليس كذلك . وإنما هو على قولهم : « قد اجتمع الناس إلى الأمير . » فهذا لفظ يقع على الجميع والآحاد . ومثله قوله تعالى : ﴿ الذين قال لهم الناسُ إنّ الناسَ قد جمعوا لكم[٢] ﴾ ، وإنما قال ذلك نُعيم بن مسعود لأشجعي . وقيل هو مَرْثَد بن أبي مرْثَد الغَنَويّ[٣] . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إنّ الذين كفروا سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون[٤] . ﴾ إنما المراد أنّ بعضهم يدوم على الكفر لا كلّهم . وجاء عنه صلى الله عليه وسلم حديث معناه أنّه رأى بضعة من أبي جهل بن هشام في الجنة . فلما أسلم عكرمة بن أبي جهل[٥] كان ذلك عبارة رؤياه . وقد لبث عكرمة وغيره على الكفر زماناً ثم أسلموا . والجمّ

(٢) سورة آل عمران : ١٧٣

(٣) نُعيم بن مسعود الأشجعي ومرثد بن أبي مرثد الغنوي صحابيان

(٤) سورة البقرة : ٦

(٥) كان أبو جهل عمرو بن هشام المخزومي من أشدّ الناس عداوة للنبي (ص) وللمسلمين . وقتل فيمن قتل من المشركين في بدر . أما ابنه عكرمة فقد أسلم يوم الفتح واستشهد في فتوح الشام سنة ١٥ هـ .

الغفير من هذه الأمم كانوا كفّاراً في الجاهلية ثمّ منّ الله عليهم بالدخول في الإسلام . هذا كلام الشيخ أبي العلاء

٤٠ — ب

(٢٢)

١ — لا يصبرَنّ فقيرٌ تحتَ فاقتِهِ
إنّ السّباريتَ جابتها السَّباريتُ[*]

٢ — ناسٌ إذا نَسَكوا عُدّوا ملائكةً
وإن طَغَوا فَهُمُ جِنٌّ عفاريتُ

قال أبو العلاء تعليقاً على البيت الثاني :

هذا كلام شرعيّ ، لأن الملائكة لا تُقِرّ بهم المُلْحِدَة . وإنما الغرض مبنيّ على ما رُوي في الحديث من أنّ الإنسان إذا قبل أوامرَ الله فكأنّه مَلَك ، وإذا خالفها فكأنّه عفريت مارد * . هذا كلامه .

٥٠ — آ

(*) من قصيدة في لزوم مالا يلزم (١ : ١٥٢ - ١٥٣) مطلعها :
لا خير في المال عطاه وأجمه إذا عريتُ فما حُزْنٌ وعُرّيتُ
والسباريت الأولى : القِفار ، والثانية : القوم الصعاليك . ومفردهما سُبروت .

(٢٣)

لو جاء من أهـــل البلىٰ مخبرٌ سألت عن قومٍ وأرّختُ : (*)

هل فاز بالجنّة عُمّالهـــا وهل ثوى في النار نُوبّختُ ؟

قال أبو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في هذين البيتين :

المعنى أنّ ابن آدم لا يدري ما يُقضى عليه . فيجوز أن تتغيّر نيته في الإيمان فيدخل النار ، ويمكن أن يُؤمِنَ الكافر قبل الموت بلحظة فيستوجب بذلك العفو . وقد ورد مثل هذه الأشياء في الحديث المأثور : إنّ ابن آدم ليعمل أعمال أهل الجنة حتى لا يبقى بينه وبينها إلاّ قيد الظفر ، ثم يرجع عن ذلك فيدخل النار . وإنه ليعمل أعمال أهل النار حتى لا يبقى بينه وبينها إلاّ قيد الظفر ، ثم يرزق التوبةَ فيدخل الجنة » وقد كان في زمان النبي صلى الله عليه

(*) من قصيدة في لزوم ما لا يلزم (١ : ١٦٣ - ١٦٤) مطلعها

بتُّ عن الدنيا ولا بتّ لي فيها ولا عِرسٌ ولا أختُ

ونوبخت : أحد ملوك الفرس .

من كان كافراً به ، ثمّ بدا له أن يؤمن فيجاهد ، فقتُل فدخل الجنة وهو لم يُصلّ لله صلاةً قط[1] . وقد جاء ذلك في الكتاب العزيز في قوله : ﴿ وما أدري ما يُفعل بي ولا بكم ﴾[2] . هذا كلام الشيخ أبي العلاء في البيتين الأخيرين في الردّ على المعترض عليه فيهما ، من زجر النابح .

(٢٤)

لا أخطبُ الدنيا إلى مالك الد نيا ولكنْ خطبتي أختَها[3]

قال أبو العلاء تعليقاً على هـذا البيت :

لَفَظَ بأنه لا يخطب الدنيا الفانية إلى ربّها ، وإنما يخطب أختَها

(١) هو عمرو بن ثابت بن وقش المعروف بأصيرم بني عبد الأشهل . لم يسلم حتى كان يوم أحد ؛ بدا له في الإسلام فأسلم ثم أخذ سيفه فغدا حتى دخل في عرض الناس ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة ثم مات فلما ذكر لرسول الله ﷺ شهد له بالجنة . أنظر خبره في سيرة ابن هشام ، القسم الثاني ص ٩٠) .

(٢) سورة الأحقاف : ٩

(٣) البيت مطلع مقطوعة في لزوم مالا يلزم (١ : ١٦٧) .

انتظرة . فكيف تُدّعى الدعوة الباطلة على من هذا اعتقادُهُ ، وطلب الآخرةِ همّه والتماسُهُ ؟ فرحم الله القائل [1] :

إذا محاسنيَ اللاتي أُدِلُّ بها كانت ذنوبي فقل لي كيف أعتذرُ

ـ هذا كلام الشيخ أبي العلاء في إبطال دعوى من ادعى عليه ضدّ اعتقاده ، وعابه بغير ما هو منطوٍ عليه . من زجر النابح .

(٢٥)

لو أنّني البِرْجيسُ أو جارُهُ نزلتُ من أرفعِ أبراجي [*]

قال ابو العلاء تعليقا على هـذا البيت :

البِرجيسُ : المشتري . وجاره : كيوان ، وهو زُحل ، لأنه أعلى الكواكب السبعة ، والمشتري يليه في الترتيب ، فكأنه جارُ

(١) البيت للشاعر البحتري من قصيدة له في ديوانه (٢ : ١٨٢) يمدح بها عليّ بن مرّ الأرمني مطلعها :

في الشيب زجرٌ له لو كان يزدجر وبالغ منه لولا أنّه حجرُ !

(٥) من قصيدة في لزوم مالا يلزم (١ : ٢٠٧) مطلعها :

حالي حال اليائس الراجي وإنما أرجـــع أدراجي

له زعم الشيخ أبو العلاء أنه لو كان كالبرجيس ـ وهو المشتري ـ أو جاره كيوان ـ وهو زُحل ـ لنزل من أرفع بروجه بحكم الله تعالت كلمته ففضّ الله أفواه الناسبيه إلى أنّه يعتقد بقاء النجوم ! من زجر النابح .

(٢٦)

لولا التنافُسُ في الدنيا لما وُضعتْ
كتبُ التناظُرِ لا « المغني » ولا « العُمَدُ » [*]

قد بالغوا في كلام بان زخرفه
يُوهي العقولَ ولم تثبتْ له عُمُدُ

قال ابو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في هذين البيتين :

هذا معلوم عند كلّ ذي لبّ أنّ هذه الكتب إنما وُضعت للتنافس والتكاثر ، وأن الديانة هي التوفر على الصلاة والتسبيح بعد

(*) مطلع مقطوعة في لزوم مالا يلزم (١ ـ ٢٣٥)
و « المغنى »
و « العمد »

إخلاص النية . ومما يكون برهاناً لذلك أن النبي صلى الله عليه وأصحابه والتابعين من بعده لم يكن في أيديهم شيء من هذا النوع وقد كان المتكلمون في القدَر يُكفَّرون في صدر الإسلام . ثم اشتجرت[1] المذاهب وتفرّعت أقاويل الناس وكلها في أشياء لو شاهدها النبي صلى الله عليه أو غيره من الراشدين لزجر من ينطق بها [نهر][2] على الإسهاب فيها . وأعجب الأشياء أن بعض هذه الطوائف لا يصحّ أنه مصيب في نفسه حتى يكفِّر من خالفه ويُقِرّ ببراءة منه ه . هذا كلام أبي العلاء في هذا البيت .

(٢٧)

لقد ضلّ هذا الخلقُ ما كان فيهمُ ولا كائنٌ حتّى القيامةِ زاهدُ (*)

قال ابو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في هذا البيت :

(١) اشتجرت : تشابكت .

(٢) كلمة مطموسة في الأصل وقدّرت بمقتضى سياق العبارة .

(*) من قصيدة في لزوم مالا يلزم (١ : ٢٢٨ - ٢٢٩) مطلعها :

لعل نجوم الليل تُعمِل فكرَها لتعلمَ سِرّاً ، فالعيون سواهدُ

هذا بيت فيه إقرار بالقيامة . وأما نفي الزهد عن بني آدم فيحتمل وجهين : أحدهما أن يكون محمولاً على أن أكثر الخلق كذلك . لأنّ الرغبة إذا كانت في الأكثر [و] كان الزاهد إنما يوجد غريباً ، جاز أن يُخبَرَ عن ترك الزهد بلفظ العموم والمراد غير ذلك . وقوله تعالى : ﴿ وما أنت بمسمع من في القبور[1] ﴾ المعنى : إلاّ إذا شاء الله أن يسمعهم أو يُنشروا في المحشر وهم سامعون مبصرون وقد رُوي أنه عليه السلام وقف على قليب بدر وفيه من قُتل من قريش ، فنادى بعضهم بأسمائهم ، ثم قال : ﴿ هل وجدتم ماوعد ربكم حقاً ؟[2] ﴾ فقيل له يارسول الله ، هل يسمعون ؟ فقال : إنهم ليسمعون ولكن لا يستطيعون جواباً . والآخر أنّ الزهد تختلف أنواعه فلا بدّ لابن آدم من رغبة في الدنيا التي يعلم أنها زائلة . وإنّ الرغبة تختلف فتكثر أحياناً وتقل . وقد جاء ذلك في الحديث لما ذكر عند النبيّ صلى الله عليه معنى قوله : « من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه ومن كره لقاءَ الله كره الله

(١) سورة فاطر : ٢٢

(٢) سورة الأعراف : ٤٤

لقاءه . فقال الحاضرون : كلنا نكره الموت ! فرغبة الإنسان في الحياة تدلّ على أنّ زهده غير كامل وإن كان تاركاً لأنواع الشهوات .

وقد نطق الكتاب الكريم بذم الإنسان ، قال عز من قائل : ﴿ إنّا عرضنا الأمانةَ على السَّمٰوات والأرضِ والجبال فأبَيْنَ أن يَحْمِلْنَها وأشْفَقْنَ منها وحَمَلَها الإنسانُ إنّه كانَ ظلوماً جهولاً[3] ﴾ فالإنسان هاهنا شائع في الجنس عام لمن خُلق ولمن لم يُخْلَق بعد ، إلا خصائص يجوز أن يُستثنى في النيـة على ما تقـدم من القول . وقد عُلِمَ أن الظلم والجهل خلقان مذمومان ، وقد أقرت بهمـا الأنبياء بشهادة الكتاب العزيز ، من ذلك قوله : ﴿ لا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين[4] ﴾ فقد وضح أنهمـا بالأكل منها قد أطلق عليهما الظلم . وقال حكاية عن موسى عليه السلام لمـا وكز الرجل فقتله : ﴿ قال ربِّ إنّي ظلمتُ نفسي فاغْفِرْ لي فغَفَرَ له إنّه هو الغفور الرحيم[5] ﴾ وقال في الحكاية عن آدم وحوّاء : ﴿ قالا

(٣) سورة الأحزاب : ٧٢
(٤) سورة البقرة : ٣٥ ، وسورة الأعراف : ١٩ .
(٥) سورة القصص : ١٦

ربّنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين[6] ﴾ .

هذا كلام الشيخ أبي العلاء .

(٢٨)

١ — في كل أمرِكَ تقليدٌ رضيتَ بهِ
حتى مقالكَ : ربي واحدٌ أحدُ[*]

٢ — وقد أُمِرْنا بفكرٍ في بدائعهِ
فإن تفكَّرَ فيه مَعْشَرٌ لَحَدوا

قال أبو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في البيت الأول :

هذا لغز ، واللغز يتردّد في كلام هذا المتّهم[1] كثيراً ، لأن التقليد في التوحيد لا يقول به أحدٌ يُعوَّل عليه من الشرعية إذا عنوا به تقليد التابع للمتبوع . فأما التقليد في البيت فيحتمل وجهين : أحدهما أن يكون من قلدتُ عنقي الشيء ، أي جعلته لي قِلادة

(٦) سورة الأعراف : ٢٣
(*) مطلع مقطوعة في لزوم مالا يلزم (١ : ٢٣٨) .
(١) المتهم : أبو العلاء نفسه .

ألزمُها . فأما التقليد بقول كلمة الحق فجارٍ مجرى القلادة التي تزين .
والآخر أن يكون التقليد[1] من قَلَّدَتهُ إذا أعطته حظاً من المط .
أي في كل أمرك تقليد أي شيءٌ يقلد شيئاً حتى أن التوحيد مُستفاد
في طول العمر . فقد وضح المعنى . وقد قالت طائفة غير كثيرة
أن النبي صلى الله عليه وسلم قلَّد في التوحيد غيره ه هذا كلام الشيخ .

(٢٩)

قال أبو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في البيت الثاني :

هذا محمول على الكتاب والسنة ، لأن الحديث عن عليٍّ عليه
السلام : « من أكثر الفكرة بالله تزندق » وفي حديث آخر :
« لا تفكّروا في الله وتفكّروا في مصنوعاته » . وبذلك نطق
الكتاب العزيز ، وتكرر الأمر بالفكر في المخلوقات كقوله تعالى :
﴿ أولم يتفكروا في أنفسهم ، ما خلق الله السموات والأرض وما
بينهما إلا بالحق[2] ﴾ ومُدح المفكّرون في ذلك ، قال سبحانه :

(١) هذه العبارة حتى آخر الفقرة وردت مضطربة وسقط منها بعضها وقدرت تبعاً لمقتضى الكلام .
(٢) سورة الروم : ٨

﴿ الذين يذكرونَ الله قياماً وقُعوداً وعلى جُنوبهم ، ويتفكّرونَ في
خلقِ السمواتِ والأرضِ ، ربَّنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانكَ
فقِنا عذابَ النار[3] ﴾ وقوله : ﴿ أولَمْ يَنْظُروا في مَلَكوت
السمٰواتِ والأرضِ وما خَلَقَ الله من شيءٍ ، وأنْ عسىٰ أنْ يكون
قد اقتربَ أجَلُهم[4] ﴾ ه . هذا ما تكلَّم به في هذا البيت .

(٣٠)

نفارق العيش لم نظفر بمعرفةٍ
أيُّ المعاني بأهل الأرض مقصودُ ؟[*]

لم تعطنا العلمَ أخبارٌ يجيءُ بها
نقلٌ ولا كوكب في الأفق مرصودُ !

قال أبو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في هذين البيتين :

(٢) سورة آل عمران : ١٩١
(٣) سورة الأعراف : ١٨٤
(*) من مقطوعة في لزوم مالا يلزم (١ : ٢٤٠) مطلعها :
دَنٌ ، ولا عَوَّدَنا في الجدب مَقْصود
نقضي الحياة ولم يُفْصَد لشاربنا

المعاني لفظ مطلق يتناول مالا يقع عليه الإحصاء . فبنو آدم يعلمون أن الله خلقهم ليعبدوه ويعظموه كما قال سبحانه : ﴿ وما خلقتُ الجنَّ والإنس إلاّ ليعبدون . [1] ﴾ فهذا معروف بيّن . ثمّ يُجهل بعد ذلك ما الذي يُقصَد بأهل الأرض من حياة وموت وغنىً وفقرٍ وصحّة ومرض . وهذا مستنبط من الآية : ﴿ إنّ الله عنده علم الساعة ، وينزّل الغيث ، ويعلم ما في الأرحام ، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً ، وما تدري نفس بأيّ أرضٍ تموت ، إنّ الله عليم خبير . [2] ﴾ ولم تزل العرب في الجاهلية تنطق بنحو هذا الغرض. قال أحيحة بن الجُلاح [3] :

---

(١) سورة الذاريات : ٥٦

(٢) سورة لقمان : ٣٤

(٣) شاعر جاهلي ، من سادات الأوس ، ترجمته في (الأغاني ، ١٣ : ١١٤ - ١٢٢) .

وهذه الأبيات من قصيدة له رواها القرشيّ صاحب (جمهرة أشعار العرب) وعدّها في المذهبات ، مطلعها :

صحوتُ عن الصبا والدهر غولُ ... ونفسُ المرء آونةً تقولُ

فهل من كاهنٍ أو ذي إلٰهٍ ... إذا ماحان من إلّ نزولُ [3]

فيرهنني على قولٍ بنيهِ ... وأرهنُه بنيَّ بما أقولُ [4]

فما يدري الفقير متى غِناه ... وما يدري الغنيّ متى يعيلُ [5]

ولا تدري وإن أجمعتَ أمراً ... بأي الأرض يدركك المقيلُ

وما تدري وإن أضربتَ شولاً : ... أتلقحُ بعد ذلك أم تحولُ [6]

فهذا وجهُ قوله : « أيّ المعاني بأهل الأرض مقصودُ » [أي : أفقرُ أم][7] غنىً ، أم تأخير أم [تقديم ، أم تعجيل][8] أم نَظِرة ؟ هذا كلام الشيخ .

---

(٣) الإلّ : الإله . ورواية (اللسان) : إذا ماحان من ربي قفولُ . ورواية (الجمهرة) : من ربِ قفولُ .

(٤) رواية (الجمهرة) و (اللسان) : يراهنني فيرهنني بنيه .

(٥) يُعيل : يصبح ذا عَيلة ، أي يفتقر .

(٦) أضربتَ : ألقحت . والشول من النوق : جمع شائلة ، وهي التي خف لبنها وأتى عليها من يوم نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية . وقوله : أم تحولُ - ويروى : تحيل - أي يحولُ عليها الحول دون أن تلقح :

(٧) و (٨) مابين القوسين مطموس في الأصل ، وقدر بمقتضى سياق العبارة .

(٣١)

الناس في الأرض أجسادٌ مقلَّدَةٌ كالهَدْيِ قُلِّدَ لم يذْعَرْهُ تهديد[٥]

قالوا ، ولما أحالوا أظهروا لَدَداً فالقول مَيْنٌ وفي الأصوات تنديد

ضلّوا عن الرشد منهم جاحِدٌ جَحِدٌ أو من يَحُدُّ ، وهل لِلّهِ تحديدُ ؟

كتب تعليقاً على البيت الأول :

الناس هاهنا لفظ واقع على معنى الاستثناء . ومثل ذلك كثير في القرآن والشعر . من ذلك قوله صلى الله عليه : « الناس معدّ بن عدنان » والناس لفظة تقع على جميع من له هذه الصورة . وإنما عنى صلى الله عليه وسلم قوماً دون قوم ، لأنّ في الأرض عوالم كثيرة لهم شخوص الإنس ويقع عليهم اسم الإنسانية وليسوا من ولد معدّ بن عدنان . وكذلك قول القائل[١] :

(٥) من قصيدة في لزوم مالا يلزم (١ - ٢٤٢) مطلعها :

بقيتُ حتى كسا الحدين جونتها ثمّ استحالَ ومسّ الجسم تخديدُ

والهَدْيُ ما يهدى إلى الحَرَم من النَّعَم ، وتقليد الهَدْي أن يُعلَّق بعنق البعير قطعة من جلد ليعلم أنه هدي فيكفّ الناس عنه . وفي الطبعة المصرية: أجناس بدلاً من أجساد .

(١) البيت للقطامي (الديوان : ٢) من لاميته المشهورة التي مطلعها :

والناس من يلق خيراً قائلون له ما يشتهي ولأمّ المخطىء الهَبَلُ

فالناس هاهنا لا يقع على الجميع وإنما الذي يفعل ذلك من يتّفق له في الأزمان وقد جاءت الشهادة عن بعض الناس أنهم كالبهائم وأضلّ منها في الكتاب العزيز . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجنّ والإنس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضلّ ، أولئك هم الغافلون[٢] ﴾ . وقد جاء بيان البيت المتقدم ذكره [فيما] بعده « ضلوا عن الرشد . . . البيت » ، فشهد أن الجاحدَ جَحِدٌ ، وهو القليل الخير ، وأن من يحدّ الله سبحانه ضالّ ، إذ كان لا تُعرف له نهاية ولا يوقف له على حدّ ، وفي العالم خلق كثير يزعمون أن الله جسم ويجرون إلى غير ذلك من النزول والانتقال وفعل أشياء تدلّ على أنه صورة محدودة[٣] ، تعالى الله عما قيل علوّاً كبيراً ه . هذا كلام أبي العلاء .

T — ٩٠

إنا محيوك فاسلم أيها الطللُ وإن بليت وإن طالت بك الطيولُ !

(٢) سورة الأعراف : ١٧٩ .

(٣) هؤلاء هم المشبهة .

والشخص مثلُ اليوم يمّ ضي في الزمان فلا يعودُ (٥)

قال ابو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في هذا البيت :

هذا كلام محمول على إرادة مستثنى ، كأنه لا يعود إلا إذا شاء الله ، أو لا يعود إلى الدنيا . [وذلك كما قال قسّ بن] (١) ساعدة (٢) : « مالي أرى الناس يمضون فلا يرجعون . أرضوا بالإقامة فأقاموا أم تركوا فناموا ؟ » ولم يكن قسّ ومن يأخذ بقوله من [العرب غير مصدّ] (١) قين بالبعث . إنما أراد قسّ أنهم لا يرجعون رجوعاً قريباً أو لا يرجعون إلا يوم القيامة ، أو نحو ذلك . وزهير بن أبي سلمى يقول في الجاهلية الجهلاء :

(٥) من قصيدة في لزوم مالا يلزم (١ : ٢٥٢) مطلعها :

أقصد فما نفع القيـا م ولا ثنى خيراً قعودُ

(١) مابين القوسين مطموس في الأصل .

(٢) من خطباء العرب في الجاهلية وأحد حكمائها المشهورين ، قيل إنه كان أسقفاً لنجران ، كما روي أن الرسول ﷺ أدركه قبل البعثة ورآه يخطب في عكاظ ، وقال عنه : « يحشر أمةً وحده » (الأعلام : ٦ - ٣٩) .

فلا تكتمنّ الله ما في نفوسكم ليخفى ومهما يُكتم الله يعلم

يؤخرْ فيوضعْ في كتاب فيُدّخرْ ليوم الحساب، أو يُعجّلْ فينقم (٣)

ولو لم يكونوا يصدّقون بالبعث لم تكن البلايا (٤) المعقورة عند القبور مشهورة في أشعارهم وأخبارهم . قال الحارث اليشكريّ (٥) :

أتلهى بها الهواجرَ إذ كلُّ ابنِ همّ بليّةٌ عمياء (٦)

(٣) البيتان من معلقة زهير بن سلمى (الديوان : ٤ - ٣٢) .

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلم

(٤) البلايا : جمع بلية ، وهي الناقة التي كانت تعقر في الجاهلية عند قبر صاحبها ، أو تُعقل في حفرة هناك فلا تُعلف ولا تسقى إلى أن تموت . وكانوا يزعمون أن الناسَ يُحشرون يوم القيامة ركباناً على البلايا ، أو مشاة إذا لم تُعقر مطاياهم على قبورهم :

(٥) الحارث بن حلّزة اليشكري ، من شعراء الجاهلية المعروفين وأحد أصحاب المعلقات ، ترجمته في (الأغاني ٩ : ١٧١ - ١٧٤) ، (الشعر والشعراء : ١٥٠) .

(٦) البيت من همزية الحارث اليشكري المعلقة ، ومطلعها :

آذنتنا ببينها أسماء رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثواء

ومعنى البيت أن الشاعر يركب ناقته ويقتحم بها لفح الهواجر إذا تحيّرَ في أمره صاحبُ كل هم تحيّرَ الناقة العمياء التي تُعقل عند قبر صاحبها .

وقال أبو زبيد [٧] :

كالبلايا رؤوسها في الولايا مانحاتِ الهجيرِ صُعرَ الخدودِ [٨]

وإنما كانوا يفعلون ذلك ليُبعثَ عليها صاحبها في القيامة . وقد كان أعشى قيس [٩] من جهّال العرب وشرّاب الخمور وذوي التظاهر بركوب الفحشاء ، وكان مقرّاً بالبعث ، وقال يمدح بعض الملوك [١٠] :

فما أُبَيْلِيٌّ على هيكلٍ بناه وصَلَّب فيه وصارا [١١]

---

(٧) هو النذر بن حرملة ـ أو حرملة بن المنذر ـ الطائي ، شاعر مخضرم توفي في أيام معاوية . ترجمته في (الأغاني ١١ : ٢٣ ـ ٣٠) وفي (الشعر والشعراء : ٢٦٠) .

(٨) الولايا : جمع وَلِيّة ، وهي البرذعة التي توضع على ظهر البعير تحت الرحل . وقوله : كالبلايا رؤوسها في الولايا ، يعني النوق التي كانت تُعقل عند قبور أصحابها وتُطرح الولايا على رؤوسها إلى أن تموت .

(٩) هو الأعشى ميمون بن قيس الشاعر الجاهلي المعروف وأحد أصحاب المعلقات .

(١٠) هذه الأبيات من قصيدة للأعشى يمدح بها قيس بن معد يكرب (الديوان : ٤٥ ـ ٥٣) مطلعها :

أأزمعتَ من آلِ ليلى ابتكارا وشطّت على ذي هوىً أن تُزارا

(١١) الأبَيْلي : الراهبُ . وهيكل الكنيسة معروف ، وصلّب فيه : أي رسم صورة الصليب ، وصارَ : أي صوّر (اللسان : مادة صور) .

يراوح من صَلَواتِ المليـ ـكِ طوراً خفوقاً وطوراً جؤارا [١٢]

بأعظمَ منكَ تُقىً في الحسابِ إذا النَّسَماتُ نفضن الغبارا [١٣]

فإذا كان هذا الشاعر وهو من مُرّاد العرب [١٤] مصدّقاً بالبعث للحساب ، فكيف بقسّ الذي تشهد بحكمته أفناء [١٥] القبائل من قحطان ومعدّ ؟ . هذا كلام الشيخ أبي العلاء على هذا البيت .

---

(١٢) الجؤار : التضرّع بصوت مرتفع ، بعكس الخفوت . ويراوح بين العملين : أي يتداولهما ، هذا مرة وذاك مرة .

(١٣) النَّسَمات : الناس ، جمع نَسَمة وهي الإنسان وأصل معنى النَّسَمة : نفس الروح ، وفي هذه الأبيات الثلاثة يصف الشاعر ممدوحه بأنه تقي يراقب ربّه ، فليس الراهب المعتكف في هيكله دائباً على صلواته وتضرّعه بأعظم من هذا الممدوح تُقىً إذا تحرّكت النَّسَمات يوم القيامة تنفض عنها الغُبار .

(١٤) من مُرّاد العرب أي من عُتاتهم وفتاكهم .

(١٥) أفناء القبائل : أخلاطها . هؤلاء من أفناء القبائل ، أي لا يُدرى من أي قبيلة هم .

(٣٣)

أيرجون أن أعودَ إليهم ؟ لا يُرَجّوا ، فإنني لا أعودُ[*]

ولجسمي إلى التراب هُبوطٌ ولروحي إلى الهواء صُعودُ

قال أبو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في البيت الثاني :

هذا مُستنبط من الكتاب والخبر . فأما الكتاب فقوله تعالى : ﴿ كلاّ إذا بلغت التراقي ، وقيل من راقٍ ، [1] ﴾ يرقى بروح هذا المقبوض ؟ وقد جاء [في الخبر أن أرواح] [2] المؤمنين وغيرهم

(*) من مقطوعة في لزوم مالا يلزم (١ : ٢٥٥) مطلعها :

صاحِ ، ما تضحك البروق شماتاً لحمام ولا تبكّي الرعودُ

(١) سورة القيامة : ٢٦ - ٢٧

(٢) و (٣) و (٤) ما بين القوسين مطموس في الأصل وقُدّر بمقتضى سياق العبارة واعتماداً على ماجاء في الخبر من أن روح المؤمن تخرج أطيب من روح المسك فتتطلق بها الملائكة الذين يتوفونه ، فتتلقاه الملائكة من دون السماء فيقولون : ما هذا ؟ فيقولون : هذا فلان ابن فلان كان يعمل كيت وكيت ، لمحاسن عمله . فيقولون مرحباً بكم وبه ، فيقبضونها منهم فيصعد بها من الباب الذي كان يصعد منه عمله فيشرق في السموات ولها برهان =

تعرض [على الملائكة فما كان منها] [3] طيباً أمِرَ به الى الجنة وما كان [منها خبيثاً] [4] رُدّ إلى الأرض أو جعل في الهاوية . وقد جاء في حديث المعراج [مما] [5] يتناقله رواة الأخبار أن النبي صلى الله عليه لمّا عُرِج به رأى آدم صلى الله عليه في بعض السموات وأرواح وُلده تُعرض عليه ، والمعنيّ بذلك أرواح من يُقبَضُ منهم . فإذا جاءته روح المؤمن استبشر وقال : روح طيبة خرجت من جسدٍ طيب . وإذا عُرضت عليه روح الكافر أعرض وبانت فيه الكراهية ، وقال : روح خبيثة خرجت من جسدٍ خبيث [6] .

ومثل هذا كثير ه . هذا كلام الشيخ أبي العلاء

كبرهان الشمس ، حتى ينتهي إلى العرش . وأما الكافر فإذا قبض انطلق بروحه ، فيقولون : ما هذا فيقولون : هذا فلان بن فلان ، كان يعمل كيت وكيت ، لمساوي عمله . فيقولون لا مرحباً ، لا مرحباً ، ردّوه . فيردّ إلى أسفل الأرض . (انظر كتاب الروح لابن قيم الجوزية ، ص ١٦٧ - ١٦٨ .)

(٥) هذه الكلمة لا وجود لها في النص والمعنى يقتضي إثباتها

(٦) انظر سيرة ابن هشام ، ص ٤٠٥ .

(٣٤)

١ ـ فإنّ رجالاً كان نسرٌ لَدَيْهمُ إلهاً عليهم قبلنا طلع النَّسرُ [*]

٢ ـ وعاشوا يرون اليُسرَ إفضالَ مكثرٍ

على مُقْترٍ ، ثم انقضى النـاسُ واليُسرُ

قال أبو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في البيت الأول :

إن ادعاء المنكر هذا البيت أنه دليل الإلحاد لمن المنكرات ، كما يدّعى للثمامة[1] أنها تشبه النخلة ، وللذرّة[2] أنها من آل الدُرّة. وإن هذا البيت لعارٍ مما زعم كما عُرّي النصل من اللباس والغصن في الشتوة من الأوراق . وإنما الغرض أن العالم يهلك جيلاً بعد جيل ويزول قرناً في إثر قرن ، كما جاء في الكتاب العزيز :

﴿ وعاداً وثمودَ وأصحـاب الرسّ وقروناً بين ذلك كثيراً[3] ﴾

(٥) من قصيدة في لزوم مالا يلزم (١ : ٢٩٩) مطلعها :

بيوتٌ ، فمهدوم يُرى ، ومقوّض بكسرٍ ، وبيت من قريضٍ له كسرُ

(١) الثمامة : واحدة الثمام ، وهو نبتٌ يُسَدّ به خصاص البيوت .

(٢) الذرّة : واحدة الذرّ ، وهو النمل

(٣) سورة الفرقان : ٣٨

والمراد أن نسراً الذي ذكره الله سبحانه في القرآن عند قوله : ﴿ ولا يغوث ويعوق ونسراً[4] ﴾ ، وهو فيما يروى قبل نوح بزمان طويل كان يسجد له قوم ، ويطلع عليهم النسر من النجوم ، فهلكوا كما هلك غيرهم من الأنام . وقد اختُلف في نسرٍ هذا ، فقيل إنه واللذين ذُكرا معه ، وهما يغوث ويعوق ، كانوا رجالاً يُعظّمون ويُكرّمون ، فلما هلكوا اتخذت أتباعهم صوراً من الحجارة تشاكلهم ، وكانوا يسجدون لهـا . وقد روي أن يعوق ويغوث صنمان ، وأن نسراً إنما عُني به نسر أي طـائر كان يجيء إلى قومٍ فيجلّونه ويُهدون إليه عذراء من عذارى الحيّ فيأكلها ، ويزعمون أنه يخبرهم بما يكون ، في كذبٍ كبير لاتحسن الإطالة بذكره . ولا ريب أنه كان من الطواغيت[5] .

هذا كلام الشيخ أبي العلاء في هذا البيت .

T — ١١٧

(٤) سورة نوح : ٢٣

(٥) الطواغيت : جمع طاغوت وهو كلّ ماعبد دون الله عزّ وجلّ .

حياةُ كجسرٍ بين موتين : أوّلٍ

وثانٍ، وفقد الشخص أن يُعبَرَ الجسر"(*)

قال ابو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في هذا البيت :

هذه صفة ما الناس عليه ، وإن الحيـــاة كالجسر بين موتين . فالموت الأول هو عَدَم الإنسان قبل أن يخلقه الله سبحانه ، والموت الثاني هو المعروف الطارىء على كل الحيوان . وهذا مأخوذ من قوله تعالى : ﴿وكنتم أمواتاً فأحياكم(١)﴾ ، أي معدومين فأخرجكم إلى الوجود . ومعلوم أن الحياة كالجسر بين هذين الأمرين ه . هذا كلام الشيخ .

آ — ١١٧

(٥) البيت من القصيدة آنفة الذكر .

(١) سورة البقرة : ٢٨

فهل يرتجي خضرَ الملابس ظاعنٌ

وقد مُزّقت في باطن التُرْب غُبرها(*)

قال ابو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في هذا البيت :

هل، هاهنا ، في معنى قد . وكذلك قال أهل العلم في قوله : ﴿هَلْ أتى على الإنسانِ حينٌ من الدّهرِ(١)﴾ ، أي : قد أتى . وهذا جارٍ مجرى اللغز في البيت المتقدم . وكثيراً ما تستعمل هل في هذا المعنى . ومن ذلك ما يُروى عن عبد الملك بن مروان أنه أعطى بعض من كان يعرفه في الدهر عطيةً ، قال : أبا أسحق هل ملأت

(*) من قصيدة في لزوم مالا يلزم (١ - ٣٠٤) مطلعها :

أرى كلّ أمّ عُبْرُها غير مبطيء وما أمّ دَفْرٍ بالتي بان عُبرُها

والعُبر : الثكل . وأم دفر : كُنية الحياة الدنيا . والدفر النتن .

(١) سورة الإنسان : ١

بديك ؟ وهذا استفهام يَدّ خلُه معنى التقرير ، كما قال[٢] :

سائلْ مُجاوِرَ جَرمٍ : هل جنيتُ لهمْ حرباً تُزَيِّلُ بين الجِيرة الخُلُطِ

وفيه وجه آخر : وهو أن تكون هل ، استفهاماً خالصاً ، كما يقول القائل : سبحان الله ، هل يعلم الميت بما الأحياء فيه ؟ وهو لا يدري : أيعلم أم لا يعلم . ويكون المعنى : هل يرتجي الميت أن يلبس ثياباً خضراً في الجنة وقد تمزقت عنه غبر الأكفان ، أم هو لايحسُّ بشيء مما هو فيه ؟ وقد ذهب جماعة من المسلمين إلى أن الميت تأتيه أخبار أهله ويعلم بما كان منهم بعده . ورُوي عن بعض الصحابة حديث معناه أنه ما خفي عنه منذ مات شيء من أخبار أهله حتى خبر هرَّة كانت لهم فماتت . فسبحان الواحد الأحد ه. هذا كلام الشيخ .

١١٩ — ب

(٢) البيت لوعلة الجرمي . أورده (اللسان) في مادة : خلط . وفيه (تفرّق) بدلاً من (تزيّل) .

حوانا مكانٌ لا يجوزُ انتِقالُهُ ودهرٌ له بالساكنيه مُرورُ[*]

قال أبو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في هذا البيت :

هذا كلام خرج عن الخصوص ، كأن المراد : لايجوز إلا إذا شاء الله ومثل هذا التخصيص كثير ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ كلُّ نفسٍ ذائقة الموت[١] ﴾ ، وقوله في موضع آخر : ﴿ ويحذّركم الله نفسه[٢] ﴾ وقد عُلم أنّ الله سبحانه باق لا يُغَيَّرُ . وفي الكتاب العزيز : ﴿ كل من عليها فان . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام[٣] ﴾ ، فدلّ ذلك على أن ﴿ كلُّ نفس ذائقة الموت ﴾ إنما هو على الخصوص ه . هذا كلام الشيخ أبي العلاء .

١٢١ — آ

(*) من مقطوعة في لزوم مالا يلزم (١ : ٣٠٧) مطلعها :

تَسَمَّى سُروراً جاهِلٌ مُتَخَرِّصٌ بفيهِ البرَى ، هل في الزمانِ سُرورُ

والبرى : التراب .

(١) سورة آل عمران : ١٨٥ ، وسورة الأنبياء : ٣٥ وسورة العنكبوت : ٥٧ .

(٢) سورة آل عمران : ٢٨ و ٣٠

(٣) سورة الرحمن : ٢٦ - ٢٧ .

١ـ نَجيبُ الزمانِ على الآفاتِ مَزْرورُ
مافيهِ إلاّ شَقِيُّ الجَدّ مَضْرورُ (*)
٢ـ أرى شواهِدَ جَبْرٍ (١) لا أُحَقِّقُهُ
كأنَّ كُلاًّ إلى ما ساءَ مجرورُ

قال ابو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في البيت الثاني :

يُروى عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام (٢) أنه قال : «ينبغي للإنسان أن لا يقول بالجبْرِ ولا الاستطاعة ، ولكنه أمرٌ بين بين » وهذا يدلُّ على الرضى والتسليم وقد جاء عنه النهي عن القياس في الدين . هذا كلام الشيخ في هذا البيت .

(*) مطلع قصيدة في اللزوميات (١ - ٣١٤) .
(١) القول بالجبر هو القول بأن الإنسان مُجْبَر غير مخيّر .
(٢) هو جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين سادس الأئمة الاثنى عشر عند الشيعة الإمامية . من أجلاّء التابعين ومن العلماء المشهود لهم بالجرأة في قول الحق . توفي سنة ١٤٨ هـ (الأعلام : ٢ - ١٢١) .

١ـ أمورٌ تُستَخفُّ بها حُلومٌ وما يَدْري الفَتى لمن الثبورُ (*)
٢ـ كتابُ محمّدٍ وكتابُ موسىٰ وإنجيلُ ابنِ مريمَ والزَّبورُ
٣ـ نهتْ أُمَماً فما قَبِلَتْ وبادتْ نصيحتُها فكلُّ القـوم بورُ
٤ـ ودارا ساكنٍ وحياةُ قومٍ كجسرٍ فوقه اتّصل العُبورُ
٥ـ يُعَطَّلُ منزلٌ ويُزار قبرٌ وما تبقى الديارُ ولا القبورُ
٦ـ حِمامٌ فاتكٌ ، فهل انتصارٌ؟ وكسرٌ دائمٌ ، فمتى الجُبورُ؟
٧ـ ومُلكٌ كالرياحِ جرت قَبولٌ فلم تلبثْ وأعقبتِ الدُّبورُ
٨ـ أصولٌ قد بُنينَ على فسادٍ وتَقوىٰ اللهِ سوقٌ لا تَبورُ
٩ـ ليطَّلِعَ المليكُ إليكَ فيها وأنتَ على نوائبها صَبورُ

قال ابو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في البيت الأول :

(★) مطلع قصيدة في لزوم مالا يلزم (١ - ٣١٩) .
والثبور : الهلاك ، والبور : جمع بائر وهو الفاسد والهالك ، من البوار وهو الهلاك . والقبول والدّبور - بالفتح في كليهما - من أنواع الرياح وإحداهما تقابل الأخرى . وسوق لا تبور : أي لا تكسد.

زجر النابح م ٥

هذا مبنيّ على قوله تعالى : ﴿ وما الحياة الدنيا إلاّ متاع الغرور[1] ﴾ فقد عُلم أن جميع ما في الدنيا غرور وخدعة بدليل قوله : < في هذه الآية > وغيرها من الآيات كقوله : ﴿ أذهبتم طيّباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها[2] ﴾ والطيبات المُتَع مما تستخفّ بها الحلوم.

« وما يدري الفتى لمن الثبورُ » أي ما يدري مَن يهلك في العاقبة ولا مَن يسلم . ومثل هذا متردّد في الحديث المأثور وغيره من أخبار التابعين وأنه لا ينبغي أن يُحكَمَ على أحد أنه من أهل الجنة ولا من أهل النار ، لأنّ [الله يحكم][3] فيهم كيف [يشاء] جلّت عظمته . وهذا البيت قائم بنفسه غير متصل بما بعده ه .

(١) سورة آل عمران : ١٨٥

(٢) سورة الأحقاف : ٢٠

(٣) ما بين القوسين مطموس في الأصل وقدّر بمقتضى سياق العبارة :

(٤٠)

وقال تعليقاً على البيتين الثاني والثالث :

« كتاب محمد » مبتدأ غير متعلّق بما قبله ، وما بعده عطف عليه إلى قوله « الزبورُ » ، ثم جاء الخبر في قوله : « نهت أمماً ، البيت » و« نهت » راجعة إلى الكتب . وهذا بَيِّن مشهور لأنّ كلّ أمّة لم تقبل أمر نبيِّها وإنما قَبِلَه بعضُهم . والإسلام على أنه أشرف الملل ، قد أظهر المنتسبون إليه أشياء هي محظورة فيه ، كشرب الخمر والمراباة وغير ذلك من المناكير . وهم ، مع ما يفعلون ، يأملون الرحمة ويرجون العفو ويُقرُّون بالوحدانية ، وإن الله لعفوٌ رحيم . وإنما أُتِيَ هذا المُنْكِرُ من جهله بأحكام المنظوم وقلّة خبرته باتصال الجمل بعضها ببعض . [لعلّه قرأ البيت][2] الأول منها دون أن يتبعه بالآخر فظن — ومعاذ الله أن يذهب المؤلف إلى ذلك — أن البيت الثاني تفسير للأول ، وليس كما ظن [.....][3]

(١) و (٢) ما بين القوسين مطموس في الأصل وقدّر بمقتضى سياق العبارة.

(٣) عبارة طويلة تقدر بسطرين مطموسة في الأصل.

وإنما هذا فن من القريض يسمى الإغرام[٤] ، وهو دون التضمين[٥] ، كما قال كثير[٦] :

وإني وتهيامي بعزّةَ بعدما ... تخلّيتُ مما بيننا وتَخَلَّتِ
لكالمبتغي ظلَّ الغمامةِ كلَّما ... تَبَوَّأَ منها للمقيل اضمحلّت

فخبر (إنَّ) في البيت الثاني ، والاوّلُ غير قائم بنفسه ، هـذا كلام الشيخ أبي العلاء على هذه الأبيات ، من (الزجر) .

---

(٤) لم يتيسر لنا العثور على هذا المصطلح عند غير أبي العلاء .

(٥) التضمين أن تتعلق قافية أحد الأبيات أو لفظة قبلها ببيت تال ، ويعتبر ذلك من عيوب الشعر . وكلما بعدت اللفظة المتعلقة بالبيت التالي عن كلمة القافية كان ذلك أسهل عيباً .

(٦) كثيّر بن عبد الرحمن الخزاعي ، المشهور بكثير عزّة ، من شعراء الغزل في القرن الأول ، توفي نحو سنة ١٠٥ هـ . (الأعلام ، ٦ : ٧٢) . والبيتان من تائيته المشهورة (الديوان ١ : ٣٦) التي مطلعها :

خليليَّ هـذا ربعُ عزّة فاعقلا ... قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلَّتِ

وقال تعليقاً على البيت الرابع :

أعوذ بالله من زمان تجوز فيه دعوى مموِّهٍ أن هذا البيت دليل على الإلحاد . أفبين البهائم هذا المتكلم أم بين الإنس ؟ إن هذا الجهل مُبين . فقوله : « ودارا ساكنٍ » دليل على اقرارٍ بالدار الأولى والدار الآخرة . أفما رجلٌ له لبٌّ يُفهم من جَهل هذا المقدار ؟ وقوله : « كجسرٍ فوقه اتّصل العبور » دليلٌ لا كلام فيه على الثانية[١] ، وما يضلّ عن ذلك إلاّ من هو معدود في الأنعام . وما ينكر عَريب[٢] من الناس قولُ القائل إذا نظر إلى جسرِ بغداد وغيرها من البلاد : « هذا جسر اتّصل فوقه العبور » وإنما يريد في الدنيا الزائلة وفي الوقت الذي أمكن عبورٌ عليه . ولو قال المخبر : « دار الأمير فلان اتّصلت بها الحوانج » لما كان ذلك أثباتاً لاتّصال دائم ، وإنما يُراد أنه يكون في حينٍ دون حين

---

(١) أي الدار الآخرة .

(٢) عريب : من قولهم ما بها عَريبٌ ، أي ما بها أحدٌ .

فإلى الله [يُشتكى][3] السفه وقلة المنصفين . وقد يمكن أن يُخبَر عن جسر قُويق[4] بمثل هذا فيقول الناظر إذا رأى مرور الناس عليه : « جسر اتّصل عليه العبور » . فهذا ادّعاء لقويق أنه لا يزول جسرهُ أخرى الدهر !؟ كيف يستحسن من له غريزة يشوبها شيء من عقل أن يقول مثل هذه الأشياء ويتأوّل مثل هذه المنكرات في بعض الأبيات ؟ فإذا جاء ما يُنْبي عن بيانها ألقاه إلقاء عمدٍ وتحامُلٍ . فلله الراجز حيث يقول :

لو أنّ حولي عصبةً يمانيهْ ما تركتني للكلاب العاويهْ .

ولكن إنما يغضب لهذه الأشياء المسلمون ، وقد اغترب الاسلام في هذا الأوان [.....][5] بل غربة عنقاء مُغْرِبٍ[6] [....][7]

(٣) الكلمة مطموسة في الأصل .
(٤) قُوَيق — بصيغة التصغير — : نهر حلب .
(٥) عبارة مطموسة لم نستطع تبيّنها .
(٦) العنقاء المغرب — على الوصف — وعنقاء مغرب — على الإضافة — : طائر خرافي معروف بالاسم لا بالجسم ، يضرب به المثل لما كان نادراً أو مستحيلاً .

والمغرب — هكذا جاءت عن العرب بدون هاء — : هي التي أغربت ، أي أبعدت في طيرانها .
(٧) عبارة مطموسة .

(٤٢)

وقال تعليقاً على البيت السادس :

أمّا قتلُ الحمام فهو معلومٌ عند الراشد والغويّ والناشىء المقتبل والمسنّ . « فهل انتصار ؟ » أي أنّ أحداً لا يصل إلى ذلك لأنه حكم الله على عباده . « وكسر دائمٌ فمتى الجُبور ؟ » وإنما ذلك انتظار من عند الله سبحانه . فإن أنكر المتسوّق[1] الاستفهام في هذا الموضع فانما ذلك بغباوته وضلاله عن أساليب القول . أما سمع قوله تعالى حكاية عن المؤمنين ونبيّهم : ﴿حتى يقول الرسول والذين معه : متى نصر الله؟ ألا إنّ نصر الله قريب[2]﴾ .

(١) تسوّق القوم : باعوا واشتروا . وكأن المعري يتّهم الطاعن بأنه يتخذ من الطعن عليه تجارة .
(٢) سورة البقرة : ٢١٤ .

(٤٣)

وقال تعليقاً على البيت السابع :

لم يذكر الطاعن هذا البيت . والمعنى أن ممالك بني آدم مبنيةٌ على فساد ، والله يزيلها أوشك زوال . ويبين معنى البيت بالذي يليه ه .

(٤٤)

وقال تعليقاً على البيت الثامن :

فشهد بأنّ أفعال أكثر الملوك مبنيّة على الظلم ، وأن تقوى الله جلّت عظمته سوقٌ لا تبور . أفما يستحي المتقرِّب بثلب البُرَآء أن يذكر ما يشتبه عليه فلا يعرفه ، ويُلغي ما هو ملزمٌ بضدٍّ مازعم ه .

(٤٥)

وقال تعليقاً على البيت التاسع والأخير :

قد أخذ المؤلف نفسه بأدبِ هذا البيت ، فَلَيَصْبِرَنَّ على ما لقيه من السفه وقلّة الإنصاف . وإنه غير حافل أراح الموت عليه أم ابتكر ، ولا مبال على أيّ صَرْعَيْه[1] وقع .

(١) لا يبالي على أي صَرْعَيه وقع : أي لا يبالي مهما تبدلت الحال . يقال : =

كُليهِ وجُرَيّهِ جَعارِ وأبشري بلحم امرئٍ لم يشهدِ اليوم ناصره[2]

بمن يهتف وبمن يستغيث ؟ وما يحاول النصرة إلا بحمل ما وُجد على اليقين .

= تركتهم صَرْعَين : أي يتقلون من حال إلى حال (القاموس) . ويقال : طلبت من فلان حاجة فانصرفت وما أدري على أي صَرْعَيّ أمره هو : أي يتبين لي أمره (اللسان) . ويقال : فلان ذو صَرْعَين : أي ذو لونين (الأساس) .

(٢) جَعارِ — على وزن قَطامِ بفتح الأول والبناء على الكسر — اسم للضبع .

(٤٦)

١ ــ ما أجهل الأُمم الذينَ عرفتهم ،

ولعلَّ سالفهم أضــلُّ وأتبرُ [٥]

٢ ــ يَدعون في جمعاتهم بسفاهةٍ

لأميرهم فيــكاد يبكي المنبرُ

قال ابو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في هذين البيتين :

المعنى أن في الدنيا أمماً لهم أمراء ظلَمة يُدعى لهم على المنابر . فلو كان المنبر يقدر على البكاء لبكى وندب . وهذه [المعاني تقع[١]] كثيراً . قال النابغة[٢] :

(٥) من قصيدة في لزوم ما لا يلزم (١ ــ ٣١٩) مطلعها :

أنا بالليالي والحوادث أخبرُ سَفرٌ يُجِدُّ بنا وجسرٌ يُعْبَرُ

أتبر : اسم تفضيل من التبار وهو الهلاك والدمار . ومنه قوله عز وجل : ﴿ ولا تزد الظالمين إلا تباراً ﴾ وقوله : ﴿ وكلاً تبّرنا تتبيراً ﴾ .

(١) العبارة مطموسة في الأصل .

(٢) هو النابغة الذبياني أحد فحول شعراء الجاهلية المعروفين . والبيت =

بكى حارث الجولانِ من هُلْكِ ربِّهِ

وحورانُ منــه خاشع متضائلُ

وقال يزيد بن مفرِّغ[٣] :

الأرض تبكي شجوَها والبرق يندب في الغمامهْ

وهذه صنوف من المبالغة ، أي لو كانت الأرض مما يبكي لبكت . وعلى هذا حمل المفسرون قوله تعالى : ﴿ فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا مُنْظَرين[٤] ﴾ . وجاء في الحديث أن المؤمن إذا قُبض بكى عليه مُصَلاّه ومجلسه ومضجعه . وقد شهر أن المنابر على عهد بني أميّة كان يذكر عليها ما لا يجب أن يعاد

= من قصيدة له في ديوانه (٥٨ ــ ٦٣) قالها في رثاء النعمان بن الحارث الغساني ، ومطلعها :

دعاك الهوى واستجهلتك المنازلُ وكيف تصابي المرء والشيب شاملُ

(٣) هو يزيد بن زياد بن ربيعة الحيري . من شعراء القرن الأول ، عرف بالغزل والهجاء ، توفي سنة ٦٩ هـ (الأعلام ، ٩ : ٢٣٥) . والبيت من قصيدة له أوردها المرصفي في رغبة الآمل (٤ : ٦٣) مطلعها :

أصرَمتَ حبلكَ من أُمامهْ من بعــد أيام يرامهْ؟

(٤) سورة الدخان : ٢٩

ذكره لأنه خروج (عن الدين [٥]) ه. هذا كلام الشيخ [٦].

٢٧ – آ

(٥) ما بين القوسين مطموس في الأصل .

(٦) وقد أضيف بعد هذا الكلام بخط مختلف ما يلي :

« وقد كان الأمير من بني أميـــة يسكر ويفسق ويخرج يصلي بالناس ويخطبهم حتى إن بعضهم أخرج امرأته فصلت الناس وهي جنب سكرانة . » .

ثم أضيف بعد ذلك بخط مختلف وفي ناحية أخرى من الهامش ما يلي :

« ليت شعري هل ينبغي للمنابر أن تكف الدموع الزواخر ، وقد لُعن على رؤوسها مولى المؤمنين بنص ربّ العالمين ألفَ شهر ، وأبيد أولاده بالقتل والأسى والقهر ؛ وقد كان في مصر خطيب يلعن أمير المؤمنين كلّ جمعة ، فنسي ذلك يوماً من الأيام . وخرج في بعض حوائجه إلى خارج البلد ، فذكر أنه لم يأتِ بالموظف ، فتحسّر لذلك وتأسف ، وقضاه عند ذلك ، وبنى هنـــاك مسجداً سمّاه مسجد الذكر . ولعمري إن من يعترض على هذا البيت لخليق بالذم والتوبيخ لأنـــه وضع الشيء في غير موضعه وتكلم على من لا يجوز عليه الكلام .

كن عابداً لله دون عبيده فالشرعُ يُعبِدُ والقياس يُحَرِّرُ [*]

قال أبو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في هذا البيت :

المعنى أنّ الناس إذا خالفوا فتركوا العبادة فيجب عليك أن تكون عبدَ الله عابدا . فالشرع يُعبِدُ ، أي : يجعلك عبداً . و« القياس يُحرِّر » يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون كاللغز ، وهو أن يُجعَلَ التحرير من تخليص الشيء وتبيينه ، كما يقال : حرّرتُ الميزان وحرّرتُ المـــال ، ويكون هذا اثباتاً للقياس مُلغَزاً عن التحرير الذي هو ضدّ الإعباد . والآخر أن يكون في الكلام نهي عن القياس . وقد روي ذلك عن جعفر بن محمد عليه السلام [١] وغيره . ومذهب جميع المجتهدين في النسك إنما هو الرضى والتسليم وترك ما يُستكشف عن الغوامض ه .هذا كلام الشيخ.

١٢٧ – ب

(★) من مقطوعة في لزوم ما لا يلزم (١ – ٣٢٠) مطلعها :

اجعل تُقاكَ الهاءَ يُعرَف همسها والرّاء كرّرَها الزمان مكرّرُ

(١) هو جعفر بن محمد الصادق سادس الأئمة عند الشيعة الإمامية . وقد أشار المعرّي في موضع آخر إلى أن جعفر بن محمد نهى عن القياس في الدين . انظر النص (٣٨) .

(٤٨ ـ ٥٢)

١ ـ من للدفين بأن يُفَرِّج لحده

عنه فينهضَ وهو أشعث أغبرُ(*)

٢ ـ والدهر يَقدُمُ ، والمعاشر تنقضي

والعجز تصديقٌ بمـــينٍ يُخْبَرُ

٣ ـ زعم الفلاسفة الذين تنطَّسوا

أن المنيَّة كسرهـــا لا يُجْبَرُ

٤ ـ قالوا : وآدم مثل أوْبَرَ ، والورى

كبنـــاته ، جهل امروءٌ ما أوبَرُ

(*) من قصيدة في لزوم مالا يلزم (١ ـ ٣٢٢) مطلعها :

كيف احتيالك والقضاء مُدبِّرُ تجني الأذى وتقول إنك مُجبرُ

وبنات أوبر : كمأة كامثال الحصى صغار رديئة الطعم ، واحدهـا ابن أوبر . يقال إن بني فلان مثل بنات أوبر يظن أن فيهم خيراً (اللسان) ، ويقال لقيت منه بنات أوبر ، أي الداهية (القاموس) . ويُتبِّر : يدمر ويهلك ، =

٥ ـ كلّ الذي تحكون عن مولاكمُ

كـذبٌ أتاكم عن يَهودَ يُخبِّرُ

٦ ـ رامت به الأحبارُ نيلَ معيشةٍ

في الدهر والعمل القبيح يُتَبَّرُ

٧ ـ عُكِس الأنام بحكمة من ربِّه

فتحكَّم الهَجَرِيُّ فيـــه وسَنْبَرُ

٨ ـ كذب يقـال على المنابر دائماً

أفلا يميد لما يُقـــال المِنبَرُ

(٤٨)

قال أبو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في البيت الثالث :

هذا بيت حث على تكذيب الفلاسفة لأنه بعد قوله : « والعجز

= والهجري : هو القرمطيّ سليمان بن الحسن الجنّابي الذي سبق ذكره (انظر النصوص (٧) و (٠٠) و (١٢٠)) ، وهجريّ نسبة إلى هجر هي بلدة على الخليج العربي . وسَنبر — كما يقول المري — كان أحد أتباع هذا القرمطي .

تصديق بمين يُخبرُ ، تفسير المين ما هو ، وذلك زعم الفلاسفة بأن لا يُجبر كسرها ولا يُبعث منها ه . ـ هذا كلام الشيخ .

٢٨ — ب

(٤٩)

وقال تعليقاً على البيت الرابع :

قالوا ، يعني الفلاسفة ، إن آدم مثل أوبر ، وبناته ضرب من الكمأة ، ولا يُدرى ما هو ه . ـ هذا كلام الشيخ .

٢٨ — ب

(٥٠)

وقال تعليقاً على البيت الخامس :

حكاية عن مقالة الفلاسفة لأصحاب الشروع ، وذلك بيّن واضح . وفي صدر الأبيات ما هو مناف لهذه المقالة ، وهو يأتي في موضعه ه . هذا كلامه في هذا البيت .

١٢٨ — ب

(٥١)

وقال تعليقاً على البيت السابع :

في صدر البيت إقرار أن جميع ما يجري في الأمم بحكم من الله تعالت كلمتـــه ، وذلك مستنبط من الكتاب العزيز من قوله : ﴿ ومن نُعمّرهُ نُنكّسْهُ في الخلق أفلا يعقلون ﴾ . وقوله ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم . ثم رددناه أسفل سافلين[٢] ﴾ وإمّا ادعاء المتقوّل أن الهَجَري يراد به النبيّ صلى الله عليه فهذا شيء لم يقله أحد من أهل العلم ولا الجهلة ، إنما المراد به القرمطي لأنه وأهل بيته مستولون على تلك البلاد[٣] ، وهي أوطانهم ، والأحساء قريب منهـا . ويقال إن جدّهم أوصاهم بلزوم تلك الأرض لنأيها عن السلاطين . وسَنْبَر رجل كان يصحبهم قديماً ، والسنابرة من ولده بقيّة مع أولئك ه . هذا كلام الشيخ .

١٢٨ — ب

(١) سورة يونس : ٦٨

(٢) سورة التين : ٤ — ٥

(٣) أي بلاد هجرَ .

وقال تعليقاً على البيت الثامن :

قد مضى تفسير هذا البيت[1] . والمنابر ها هنا ليست على العموم وإنما هي المنابر التي يُذكر عليها أهل الجَوْر ه .

* * *

(١) سبق للمعرّي أن فسر هذا المعنى في النص (٤٦) .

١ — آليتُ ما الخَبْرُ المدادُ بكاذبٍ ،
بل تكذِبُ العُلَماءُ والأحبارُ[2]

٢ — زعموا رجالاً كالنخيلِ جسومُهم
ومعاشراً قاماتُهم أشبارُ

٣ — إن يصغُروا أو يعظُمو فبقدرةٍ
ولربُّنا الإعظامُ والإكبارُ

قال أبو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في البيت الأول :

المعنى أن الكتاب الكريم قد نطق بتكذيب الأحبار من أهل الكتب القديمة ، ودعواهم ما لا يجب لهم ، وإضلالهم من اتّبعهم من الجَهَلَة والأغْمار[1] . من ذلك قوله تعالى ﴿لولا ينهاهم الربانيّون

(*) من قصيدة في لزوم ما لا يلزم (١ — ٣٣٠) مطلعها :
دنياك تشبه ناضحاً متردداً من شأنها الإقبال والإدبارُ
والأحبار : ج حبر — بالكسر والفتح — وهو العالِم .

(١) الأغمار : ج غُمر — بالضمّ — وهو الفتى لم تمكنه التجارب .

والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السُّحت لبئس ما كانوا يصنعون[٢] ﴾ ولولا ها هنا في معنى هلاّ ، كما قال الشاعر[٣] : لولا الكميّ المقنّعا. ولولا ذلك لكانت الآية شهادة لهم بحسن المذهب في اتباع الرسل. وقوله ﴿ لبئس ما كانوا يصنعون ﴾ ابتداء جملةٍ أخرىٰ . وقال : ﴿ وما قدروا الله حقّ قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيءٍ ، قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدىً للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً[٤] ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودّة ، أليس في جهنّم مثوىً للمتكبّرين . ﴾[٥] . وقد جاء في أحاديثهم مما لم يسطّر في الكتاب الكريم من [صِغَرِ أجسام قوم] وعِظَمِ أجسام آخرين . وأفرطوا في

(٢) سورة المائدة : ٦٣ والربانيّون : العلماء والمتألهون ، والسُّحت : الحرام

(٣) هو جرير ، وتمام البيت :

تعدّون عقر النيبِ أفضل سعيكم بني ضوطري ، لولا الكمي المقنّعا !

وهذا البيت من قصيدة له في هجاء الفرزدق (الديوان : ٣٣٣) مطلعها :

أقنا وحيّنا الديار ولا أرى كربعنا بين الحنيّيْنِ مربعا

(٤) سورة الأنعام : ٩١

(٥) سورة الزمر : ٦٠

ذلك حتى روى بعضُهم أن عوج بن عنق[٦] كان يحكّ رأسه السماء ، وأن الملائكة أنفت من ذلك وشكته إلى الله فنقص من خلقه شيئاً يسيراً عن ذلك ، وأنه كان يخوض معظم البحر فيكون إلى كعبه ويأخذ الحوت فيشويه في عين الشمس . وقد أخذ ذلك بعض القصّاص من المسلمين فادّعوا أن موسىٰ عليه السلام أراد أن يحارب عوجاً فجمع له عسكراً عظيماً ، وأن عوجاً عمد إلى جبلٍ فنحت منه صخرة على مقدار العسكر وحملها ليرميها عليه ، فبعث الله طائراً نقر تلك الصخرة فصارت في عنقه . وقد ذكر ذلك ابن مناذر[٧] فقال :

(٦) هكذا في الأصل . وفي (القاموس) و(اللسان) أن الصحيح عوج بن عوق ، وهو اسم رجلٍ زعموا من عِظَمِ خلقه شناعة كما زعموا أنه ولد في منزل آدم فعاش إلى زمن موسى ، وأنه كان مع فراعنة مصر ، وأنه صاحب الصخرة التي أراد أن يُلقيها على عسكر موسى عليه السلام ، وأن موسى هو الذي قتله .

(٧) هو محمد بن مُناذِر ، من شعراء القرن الثاني ، توفي سنة ١٩٨ هـ . ترجمته في الأغاني ١٧ : ٩ — ٣٠ ، ومعجم الأدباء ١٩ : ٥٥ — ٦٠ ، والشعر والشعراء ٢ — ٨٤٥ — ٨٤٧

أين عوج الذي أعدّ لموسىٰ صخرة مثلَ عسكرٍ ممدود

ثم جاؤا بمناقضة لهذا الخبر فزعموا أن موسىٰ عليه السلام كان طوله سبع أذرع وطول عصاه كذلك ، وأنه وثب من الأرض سبع أذرع فضرب كعب عوج فصرعه . ومن كان رأسه مدانياً للسماء وجب ألاّ يوصَلَ إلى كعبه بهذا المقدار من الأذرع . وقد ذكر أصحاب السير أن أطول رجال عادٍ كان مئة ذراع وكان أقصرهم سبعين ذراعاً . ولو أراد الله أن يخلق رجلاً طوله مسيرة سبعين سنه أو أكثر لم يكن ذلك ممتنعاً في القدرة ، ولكنه لم يروِ الثقات . فأما ما ذكره في القرآن من البسطة الزائدة[8] فذلك موجود في بني آدم إلى اليوم ، يكون بعضهم قصيراً وبعضهم طويلاً . وزعموا من قصر يا جوج وما جوج ما الله أعلم بحقيقته ، فذكروا أن الرجل منهم يكون طوله أشبراً . ولا ينكر لله أن يخلق شخصاً في قدر الختصر ينطق بما ينطق به بنو آدم ويتكلم

(٨) كقوله تعالى في صفة طالوت (البقرة : ٢٤٧) ﴿ وزاده بسطةً في العلم والجسم ﴾ ، وكقوله في خطاب عاد (الأعراف : ٦٩) : ﴿ وزادكم في الخلق بسطة ﴾ .

كما يتكلمون [....][9] ويُناظر فيما دقّ من العلوم . وقد ردّ الأمر إلى الله سبحانه فقيل إن صغر الجسوم [وعظمها بقدرته تعالى ، وأنّ الإعظام][10] والإكبار من [مزاياه سبحانه وتعالى وذكر][11] نقلة الأخبار أن فرعون [كان طوله ...][12] ذراعاً ، وكذلك أخبروا عن عبدالله بن مسعوده — هذا كلام الشيخ أبي العلاء .

(٩) عبارة مطموسة لم نستطع تبيّنها .

(١٠) و (١١) و (١٢) عبارات مطموسة في الأصل ، وقدّرت بما يتفق مع سياق العبارة .

أما القيامة فالتنازع شائع فيها وما لخبيئها إصحارُ[٥]
قالت معاشرُ ما للؤلؤ عائمٍ يوماً إلى ظُلَمِ المحار مَحارُ
وبدائع الله القدير كثيرة فيحورُ فيهـــا لُبّنا ويَحارُ

قال أبو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في البيت الأول :

المعنى أن الأمم تختلف في القيامة وفي مقـــدار عمر الدنيا . واليهود يزعمون أن مدة الدنيا من أولها إلى آخرهـا سبعة آلاف سنة . وقد روي عن النبي صلى الله عليه أن عمرهـا ستة آلاف سنة ، ومن وجوه كثيرة أنها سبعة آلاف سنة . وقد نقل أصحاب الحديث أنه صلى الله عليه قال : بعثت في الألف الآخر » . وفي رواية أخرى : « بعثت في آخرها ألفاً » والمجوس تزعم أن عمر الدنيا تسعة آلاف سنة ، ويخالفون في المقدار الذي قد مضىٰ منها

(٥) مطلع قصيـــدة في لزوم ما لا يلزم (١ : ٣٣٢) . والإصحار : البروز والظهور .
والمحار الأول : الصَدَفة ، والثاني المرجع .
وحارَ يحورُ : نقص ، وحار يحار : تحيّر ولم يهتد لسبيله .

إلاّ أنهم يزعمون أن آدم الذي ينتسب إليه البشر لم يمض له من المدة كما يقول المسلمون وغيرهم وذكر الطبري في التاريخ أن المجوس أخطأت فجعلت آدَمها رجلاً يقال له آدم من ولد نوح على سبيل الغلط لتوافق الاسمين[١] . ثم الخُلْف بعد ذلك واقع في المقدار الذي مضىٰ منها . فهذا كلّه يوجب التنازع والجهل بالأمر . وقد جاء في الكتاب العزيز : ﴿ يسأل أيّان يوم القيامة[٢] ﴾ وذلك إنكارٌ على من سأل . وكذلك قوله : ﴿ يسألونك عن الساعـــة أيّان مُرْساها[٣] ﴾ فلم يخبر النبي صلى الله عليه ولا غيره بوقت الساعة ولا في أي زمان تكون ه . هذا كلام الشيخ أبي العلاء .

آ - ١٣٣

(١) يقول الطبري في تاريخـه ، (: ١٢ — ١٣) : « وأما المجوس فإنهم يزعمون أن قدر مدة الزمان من لدن ملك جيومرت إلى وقت هجرة نبينا ﷺ ثلاثة آلاف سنة ومائة سنة وتسع وثلاثون سنة وهم لا يذكرون مع ذلك نسباً يعرف فوق جيومرت ويزعمون أنه آدم ابو البشر ﷺ وعلى جميع أنبياء الله ورسله . ثم أهل الأخبار بعد في أمره مختلفون ، فمن قائل منهم فيـه مثل قول المجوس ، ومن قائل منهم انه تسمى بآدم بعد أن ملك الأقاليم السبعة ، وأنه أنما هو جامر بن يافث بن نوح .... الخ » .

(٢) سورة القيامة : ٦

(٣) سورة الأعراف : ١٨٧ .

(٥٥ ــ ٥٧)

١ ــ والناسُ مثلُ النبتِ يُظهره الحَيا
ويكون أوَّلَ هلْكه الإظهــارُ(*)

٢ ــ ترعاه راعيةُ ، وتهتك بردَه
أخرىٰ ، ومنه شقائق وبَهــارُ

٣ ــ ما مَيَّزَ الأطفــالَ في أشباحها
للعَين حِلٌّ ولادةٍ وعِهــارُ

٤ ــ والجهلُ أغلبُ غيرَ علمٍ أننا
نفنىٰ ويثبتُ واحدٌ قهّــارُ

٥ ــ وكأنَّ أبناء الذين هم الذرى
أعفــاء أهلٍ ، لا أقولُ مِهــارُ

(★) من قصيدة في لزوم ما لا يلزم (١ : ٣٣٤) مطلعها :
ياليل قد ناء الشجيّ ولم ينم جنحَ الدجنّةِ نجمُها المسهارُ
والأعفاء جمع عَفو : ولد الحمار ، والمِهار جمع مهر : ولد الفرس .

٦ ــ ياليتَ آدمَ كان طلّق أمّهم
أو كان حرّمها عليه ظِهــارُ

٧ ــ ولدتهم في غير طهرٍ عاركاً
فلذاكَ تُفقد فيهم الأطهــارُ

٨ ــ ولديَّ سرٌّ ليس يمكن ذكره
يخفىٰ على البُصراء وهو نهــارُ

٩ ــ أما الهُدىٰ فوجدته ما بيننــا
سرّاً ولكنَّ الضلالَ جِهــارُ

(٥٥)

قال أبو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في البيت الأول :

هذا شيء قد نطق به القرآن في قوله تعالى : ﴿ والله انبتكم من الأرض نباتاً[1] ﴾ . وفي المشاهدة أن ابن آدم يبدأ غضيضاً

والظهار : من قولهم ظاهر من امرأته ظِهاراً إذا قال لها أنت عليّ كظهر أميّ . وكان الظِهار طلاقاً في الجاهلية فنُهوا عن الطلاق بلفظ الجاهلية وأوجب عليهم الكفّارة تغليظاً في النهي (المصباح) . والعارك : الحائض .

(١) سورة نوح : ١٧

نضراً كالنبت في أول ظهوره ، ثمّ يكتهل ، ثمّ يناله الهرم ، ثم الموت ، فيصير كالحطام اليابس . وقـــد شبّه الله سبحانه المؤمن بالزرع وهو اسم يقع عليه النبات ، قال : ﴿ كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه[٢] ﴾ . فأما الشعراء فقد كثر تشبيههم للإنسان بالنبت والغصن في الجاهلية والإسلام ه .

هذا كلام الشيخ .

(٥٦)

وقال تعليقاً على البيت السادس :

[لا][٣] يُلام ابن آدم على تمنّي العدم وفقد هذه الدنيا المتناهية في الغرور والخديعة ه . هذا كلامه .

١٣٤ — آ

(٥٧)

وقال تعليقاً على البيت الثامن والذي يليه :

« ولديّ سرٌّ ... » والبيت الذي يليه :

(٢) سورة الفتح : ٢٩ وشطء النبات ما خرج من الأصل . يقال أشطأ الزرع وأخرج شطأه إذا أفرخ .

(٣) أداة النفي [لا] غير واردة في النص ، والمعنى يقتضي وجودها ، أو وجود أداة استفهام كالهمزة أو (هل) .

أما إنكار المعترض البيتَ الأول فجهل منه واعتداء ، لأن ابن آدم مأمور بحفظ الأسرار . وقد رُوي أن النبيّ صلى الله عليه قال : « استعينوا على أموركم بالكتمان » . وكان إذا أراد سفراً وَرّى بغيره . وهذا مما يدخل في باب الكتمان . وأنكر على حاطب ابن أبي بلتعة كتابه إلى مكة بأمرٍ كان قد عزم عليه النبي صلى الله عليه ، وفي ذلك نزلت هذه الآية وما بعدها : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتّخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء تُلقون إليهم بالمودّة ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق[٤] ﴾ . وقد لَيم من أجرى[٥] إلى إظهار السرّ ، بدليل قوله تعالى :

(٤) سورة الممتحنة : ١ ، وقـــد جاء في (أسباب النزول) للسيوطي ما يلي : « أخرج الشيخان عن عليّ قال : بعثنا رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد بن الأسود فقال : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فأتوني به . فخرجنا حتى أتينا الروضة . فإذا نحن بالظعينة فقلنا : أخرجي الكتاب . فقالت : مامعي من كتاب . فقلنا لتُخرجنّ الكتاب أو لتُلقينّ الثياب . فأخرجته من عقاصها . فأتينا به رسول الله ﷺ ، فإذا هو من حاطب بن بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر النبيّ ﷺ . فقال ماهذا ياحاطب ؟ قال لاتعجل يارسول الله ، فاني كنت امرأً ملصقاً في قريش ولم أكن من أنفسها ، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة ، فأحببت إذا فاتني ذلك من نسبٍ فيهم أن أتخذ يداً يحمون بها قرابتي . وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني ولا رضاً بالكفر . فقال النبي ﷺ : صدق . وفيه أنزلت هذه السورة .

(٥) أجرى : أرسل جرياً في أمرٍ ما . والجريّ : الرسول والوكيل والخادم .

﴿ وإذا جاءهم أمرٌ من الأمن أو الخوف أذاعوا به[٦] ﴾ . وقال الشاعر في القديم[٧] .

ولا تُفشِ سرك إلاّ إليك فإن لكلّ نصيحٍ نصيحا

وقد أُلِحّ على مؤلف (لزوم ما لا يلزم) في سؤال على هذا السرّ فقال : معناه أني من أول العمر إلى آخره يُظنّ بي الثراء واليسر لما أعانيه من التقنُّع والاستغناء عن الناس ، حتى دخلت جملة من ذُكر في قوله تعالى : ﴿ يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفُّف[٨] ﴾ . وأما البيت الثاني فمعناه أن الهدى قليل فكأنه سرّ ، والضلال قد غلب فكأنه جهار ويجوز أن يُعنى بذلك القوم الصالحون والذين هم على غير طرق الصلاح ، لأن صاحب النسك منذ كان مفقود في الزمن قليل النظير . وإلى أن تجد رجلا يتورّع ويتعفّف قد وجدت آلافاً يَظلِمون ولا يخافون العقوبة ولا سوء الذكر ، فكأن الدَّيِّنَ لقلّة

(٦) سورة النساء : ٨٣

(٧) يُنسب هذا البيت إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه . ويقال لا ، بل كان يكثر إنشاده متمثلاً (الكامل : ٢ — ١٥) .

(٨) سورة البقرة : ٢٧٣ .

أشباهه سرٌّ يكتم ، والغواة من البشر حديث يُظهر ويُعلن فلذلك جاء في الحديث : خير الناس في الزمان النوَمة ، أي الخامل الذكر ، هذا كلام الشيخ أبي العلاء .

(٥٨)

لعمري لقد فضح الأولي نَ ما كتبوه وما سطّروا[*]

قال أبو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في هذا البيت :

هذا مبنيٌّ على قوله تعالى : ﴿ فويلٌ للّذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثُمّ يقولون هذا من عندِ الله ليشتروا به ثَمَناً قليلاً ، فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم وويلٌ لهم مما يكسبون[١] ﴾ وقال جلّت عظمته : ﴿ وإن منهم لفريقاً يَلْوون ألْسِنَتَهم بالكتابِ لتحسبوهُ من الكتابِ وما هو من الكتاب ، ويقولون هُوَ من عند الله وما هُوَ من عند

(*) مطلع مقطوعة في لزوم مالا يلزم (١ : ٣٤٦) .

(١) سورة البقرة : ٧٩ .

الله ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون[٢] * وقد جاء في الحديث أن بعض الصحابة قال : « يا رسول الله ، إنا نسمع من اليهود والنصارى أخباراً أفتأذن لنا أن نكتبها ؟ » فقال صلى الله عليه : « أمتهوّكون[٣] أنتم كما تَهوّكت اليهود والنصارى ؟ والله لقد جئتكم بها بيضاء كقُرْصَةِ النَّقِي[٤] ، فلو أن موسى صلى الله عليه وسلّم حَيٌّ ما وسعه إلا اتباعي » فدلّ على ذلك أن تلك الأخبار مفتعلة مكذوبة ، هذا كلام الشيخ .

(٢) سورة آل عمران : ٧٨ .
(٣) المتهوّك : المتحيّر المتردّد .
(٤) القُرْصة : القرص ، والنّقيّ : الخبز الحُوّارى ، أي المصنوع من الدقيق الأبيض . وفي الأصل (النعي) وهو تصحيف والصحيح ما أثبتناه .

(٥٩)

إذا نَفَرتْ نفسٌ عن الجسمِ لم تَعُدْ
إليهِ ، فأبْعِدْ بالذي فعلتْ نَفْراً ![٥]

قال أبو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في هذا البيت :

حذف الجُمَل في القول يقع كثيراً ويجيء في القرآن وغيره من الحديث المأثور وكلام العرب . فيمكن أن ينطق بالجملة والمراد بالخبر قوم دون قوم أو زمان دون زمان أو أرض دون أرض . فلو قال قائل الناس يأكلون الجراد ، لَعُلِم أنه لا يَعني بذلك جميع الناس .

واللفظ قد خرج على العموم . وكذلك إذا قال : الناس يطوفون بالكعبة ، فقد صدق ، إلا أن الطواف إنما يفعله من يحج ، وفي العالم رجال كثير لم يصلو إلى ذلك . ويقول القائل : الأئمة تخطب على المنابر ، فيخرج اللفظ على العموم لكل الأزمنة ، وإنما يُراد

(*) من قصيدة في لزوم مالا يلزم (١ : ٣٤٨ — ٣٤٩) مطلعها :
إذا آمن الانسان بالله فليكن لبيباً ولا يخلط بإيمانه كفرا

الجمعُ والأعياد وما تحدُث فيه الخطابة كخسوف القمر وكسوف الشمس والاستسقاء . والمعنى : أن النفس إذا نفرت عن الجسم لم تعد إليه في الدنيا الزائلة ، فإذا أمرها الله سبحانه فانها العائدة بلا ريب . فهذا من تعليق الأخبار بما يُترك ذكره من الأزمنة والأمكنة . وقد يُحتمل أن يجيء في الكلام : « إذا نفر الظبي من كناسه لم يَرجع إليه » يُراد به من يومه أو في ليلته ، ولا يُحكم بأنه [غير][1] راجعٍ إليه آخر الدهر . وكذلك قول القائل : لا أسكن في هذه الدار ، إنما يُرَجع في ذلك إلى نيّته ، فيجوز أن يعني الأبد أو الشهر أو العام أو ما شاء الله من المدَد .

هذا كلام الشيخ أبي العلاء .

(٤) — آ

(١) كلمة (غير) لاوجود لها في النص ، وسياق العبارة يقتضي إثباتها .

(٦٠)

١ — سعىٰ آدم جدّ البريّةِ في أذىً
لِذُرِّيَّةٍ في ظهره تشبه الذرّا [1]

٢ — تلا الناسُ في النكراء نهجَ أبيهم
وغُرّ بنوه في الحياة كما غُرّا

قال أبو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في هذين البيتين :

هذا مأخوذ من الكتاب الكريم لأنه قد نطق بعصيان آدم عليه السلام وهبوطه إلى الأرض بما فعل من الجريرة . وفي الكتاب الكريم ﴿ فدلاّهما بغرور ﴾ . وفي الحديث الذي ينقله أصحاب السير ويسندونه إلى الكتب القديمة أن الله سبحانه وجلّ عن كل

(*) من قصيدة في لزوم مالا يلزم (١ — ٣٥١) مطلعها :
هوى البَرّة في بحرٍ وإن سكن البَرّا إذا هو جاء الخيرَ لم يعدم الشرّا
الذرّ : النمل ، وتلا الناسُ نهجَ أبيهم : اتّبعوه وساروا على طريقته .
(١) سورة الأعراف : ٢٢ .

شبه ومقال ، ضرب بيده على منكب آدم الأيمن من تحته إلى آخر ظهره فأخرج منه ذُريةً مثلَ الذرّ وقال : إلى الجنة ولا أبالي فأولئك ، فيما يذكر ، أصحاب اليمين . ثم فعل بالجانب الأيسر كذلك وقال : إلى النار ولا أبالي . فأولئك ، فيما قيل ، أصحاب الشمال . ومثل هذا يذكر في تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريّتهم وأشهدهم على أنفسهم : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا ، أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ﴾[٢] . وأما قول الناس إن آدم عليه السلام أشقى بنيه بخروجه إلى هذه الدار فهو مشهورٌ متكرر . وقد روى أصحاب الحديث أن آدم صلى الله عليه لما هبط إلى الأرض وقع على شوك فتألم وتذكر ما كان فيه من النعيم . وقال الطائي[٣] :

لاتنسينّ تلك العهودَ فإنما سميتَ إنساناً لأنك ناسي

وإنما أصل ذلك أن أصحاب التاريخ والنقل يزعمون أن اشتقاق

(٢) سورة الأعراف : ١٧٢ .

(٣) أبو تمام الطائي . والبيت من قصيدته المشهورة في مدح أحمد بن المعتصم (ديوان ٢ : ٢٤٢ — ٢٥٢) ومطلعها :

ما في وقوفك ساعةً من باسِ نقضي ذمامَ الأربُعِ الأدراس

الإنسان من النسيان . ومبتدأ ذلك أن آدم نسي ما عهد إليه فسمي إنساناً[٤] . وهذا يوافق مذهب الكوفيين في إنسان لأنهم يجعلونه على (إفعان) ويعتقدون أن أصله النسيان[٥] . فأما الكلام القديم فوجود فيه : فلان أفضل ولد الإنسان ، ونحو ذلك .

قال العنبري :

أقلّ بنو الإنسان حتى عمدتُهم إلى من يثير الجنّ وهي هُجودُ؟

يعني بالإنسان آدم عليه السلام . وقال الجعفي[٦] حاكياً عن فرسه بخطاب :

يقولُ بِشِعب بَوّانٍ حِصاني : أعنْ هذا يُسارُ إلى الطّعان ؟

(٤) إشارة إلى ماجاء في القرآن الكريم (سورة طه : ١١٥ « ولقد عهدنا إلى آدمُ من قبلُ فنسي ولم نجد له عزماً » .

(٥) أصل (إنسان في رأي الكثرة من الكوفيين (إنسيان) على (إفعيلان) ، من النسيان . إلا أنه لما كثُر في الكلام حذفوا فيه الياء التي هي اللام فأصبح على وزن (إفعان) . والدليل على ذلك في رأيهم أنهم قالوا في التصغير (أنيسيان) ، فردّوا الياء ، إذ أن التصغير يردّ الأشياء إلى أصولها . انظر (الإنصاف : ٣٤١) .

(٦) هو أبو الطيب المتنبي ، أحمد بن الحسين الجعفي . والبيتان من قصيدته في مدح عضد الدولة (الديوان ٢ : ١٤٨ — ١٤٩) ومطلعها :

مغاني الشِعب طيباً في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان

أبوكُمْ آدمُ سَنَّ المعاصي وعَلَّمكُمْ مُفارَقَةَ الجِنانِ

ومن جهل هذا المعترض أنه وصل بهذين البيتين بيتاً لايدخل معهما وظنّ أنه يجوز أن يوصل إليهما ، فأنبأ ذلك عن غريزة ناقصة ولبٍ ليس بثابت وتعرضٍ لما لا يحسن . ولقد ذكر أحمد بن عبد الله بن سليمان [٨] أنه أُري فيما يرى النائم ليلة الجمعة ، وهي الثالثة من جمع رجب ، أنه بحضرة بعض الأمراء ، والأمير يذكر أبياتاً من الشعر ويتكلم على معانيها ، وأن رائي المنام عجب من ذلك كل العجب . وكان مما سمعه يُنشد :

الشعر باب وبعيدٌ سُلَّمهْ والشعر لايسطيعه من يظلمهْ

إذا أرتقى فيه الذي لا يعلمهْ زَلَّت به إلى الحضيض قدمه

يريد أن يُعرِبَهْ فيعجمه [٩]

وإنما هذه الأبيات مثل للمتكلم لأنه وصل بالبيتين المتقدمين بيتاً هو :

« أرى عالماً يشكو إلى الله جهله . . : البيت »[١٠]

وسنذكره في موضعه هـ . هذا كلام الشيخ أبي العلاء .

(٨) هو المعرّي نفسه .

(٩) يُنسب هذا الرجز إلى الحطيئة (العُمدة ١ : ٩٦) .

(١٠) هذا البيت موضوع النص (٦١) التالي .

(٦١)

أرى عالماً يشكو إلى اللهِ جهلَهُ وكم مِنْ بَرىً يعلو فيخطب منبراً [*]

قال أبو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في هذا البيت :

اما شكيةُ العالم إلى اللهِ جهله فهي مشهورة لايدفعها غويٌ ولا رشيد . وكل مخلوق له بعض الحاسّة يعلم أنه جاهل بالأشياء إلا ماشاء الله، إذ كان علمُ الغيبِ لايدركه بنو آدم . وأما قوله : « وكم من برىً يعلو فيخطب منبراً » فإنه جعل (من) مع (البرَى) — وهو التراب — مجانساً لقوله في القافية (منبرا) ، يريد واحد المنابر . وليس في هذا الكلام بحمد الله طعن على خطيب ولا غيره ، وإنما هو تعجب من قدرة الله جلّ سلطانه لأنه يخلق من التراب من يعلو أعوادَ المنبر فيشهد بالوحدانية ويفوه بالعظات هـ .

هذا كلام الشيخ على هذا البيت .

(*) من مقطوعة في لزوم مالا يلزم (١ : ٣٥) مطلعها :

تعالى الذي صاغ النجوم بقدرة عن القول أضحى فاعل السوء مُخبَرا

والبرى : التراب ، والمراد به الإنسان لأنه خلق من طين .

(٦٢)

١ – ولو طارَ جبريلُ بقيةَ عمرِهِ

عن الدهرِ ما استطاع الخروجَ من الدهرِ (*)

٢ – وقد زعموا الأملاكَ يدركها البلى

فإن كان حقًّا فالنجاسة كالطُّهرِ

قال أبو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في البيت الثاني :

الأملاك : جمع مَلك . وهذا مبني على الحديث الذي نقل من أن ملك الموت يقبض أرواح الملائكة فإذا فرغ من نفوسهم قال له الله سبحانه : مت ، فيموت . و (إنْ) هنا تؤدي معني إذا ، كما تقول : آتيك إن استحصد الزرع . وقد عُلم أنه يستحصد لامحالة . ويجوز أن يُحمل على أن يكون : إن استحصد الزرع وأنا حيّ أو وأنا قادر على الإتيان ، وكما قال سبحانه : ﴿ إن

(*) من قصيدة في لزوم مالا يلزم (١ : ٣٧٤) مطلعها :

كنتم مؤمنين ﴾[1] وقد عُلم أنهم مؤمنون . والغرض أن الملائكة إذا ذاقت الموت وهي أشباحٌ طاهرة فقد صارت في لقاء الموت مثلَ الذين حكم عليهم بالنجاسة لقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ، إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا[2] ﴾ ه هذا كلامه .

(١) ورد قوله تعالى (إن كنتم مؤمنين) في آيات كثيرة ، كسورة المائدة : ٢٣ وسورة الأعراف : ٨٥ ، وسورة المائدة : ٥٧ ..الخ .

(٢) سورة التوبة : ٢٨ .

(٦٣)

١ ــ يارُبَّةَ الخَدرِ عُدّي مِيتَةً وَسَناً
فإنما أنت إحدىٰ الغيدِ من مُضَرِ (*)

٢ ــ طيي ضميراً بأمرٍ لا محيدَ له
يلقاهُ بالرغم أهلُ البدوِ والحَضَرِ

٣ ــ لم تُكفَهُ الخُضْرُ من لؤمٍ ولا كَرَمٍ
ولا تجاوز عن موسىٰ ولا الخَضِرِ

قال أبو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في البيت الثالث :

الخضرُ مختلف فيه ، فقال طائفة عظيمة إنه مات كغيره من بني آدم . وروى جماعة في ذلك أخباراً وذكروا أنه مُمهل لم يمت

(*) لزوم مالا يلزم : (١ : ٣٨٤) .
لم تُكفَهُ : لم تنشجْ منه ، والخُضْر ــ كما يتبيّن من البيت ــ : وصف يقع على الكرام واللئام يقال : هم خضر الجلود ، أي لئام ، كما يقال : هم خضر ، أي كرام تشبيهاً لهم بالبحار الخضر الزاخرة أو بالربيع الأخضر .
والخَضِر : هو العبد الصالح صاحب موسى عليه السلام .

بعد . وهذا المعنى محمول على أنه لابدّ له من الموت وإن طالت مدته ، لأنهم إذا حكموا بموت الملائكة فمن هو من ولد آدم أولى بذلك . ولا يقدرُ مدّعٍ أن يزعم دوام الخلود في العاجلة للخضر ولا غيره ه . هذا كلامه .

(٣٦)

قال في الراء المكسورة مع الغين :

ما بين موسىٰ ولا فرعون تفرقةٌ عند المنون بإكبارٍ وإصغارِ (*)
كأنّها ذاتُ قرٍّ أطعمتْ لَهَباً ما ضمَّهُ الحطبُ من سِدْرٍ ومن غارِ
أو أمُّ أجرٍ جَرىٰ قتلٌ على نَفَرٍ حُرٍّ وعَبْدٍ فجرَّتهم إلى الغارِ
ترمي بِعُضْوَيْنِ : ذي نطقٍ وذي خَرَسٍ
إلى فمٍ لصُنوفِ الطُّعم فغّـارِ

وقال في الراء المكسورة مع النون :

تناقضُ ماله إلاّ السكوت له وأن نعوذُ بمولانا من النارِ

(*) هذه المقطوعة والتي تليها في لزوم مالا يلزم : (١ - ٣٩١) .
والقرّ : البرد ، وذات قرٍّ : يعني الأمة المقرورة ، والسدر والغار : من أنواع الشجر ، وأمّ أجر : يعني بها الضبع ، والجرو ولدها ، ويجمع على أجرٍ وأجراء وجِراء ، وجرّتهم إلى الغارِ : أي إلى الوِجار ، وفمٌ فغّار : مفتوح .

كف بخمسٍ مِيءٍ من عَسجدٍ فُدِيَتْ
ما بالها قطعت في ربع دينـارِ !

قال ابو العلاء في الرد على من اعترض عليه في هاتين المقطوعتين

ادّعى أن هذا تسوية بين موسى وفرعون ، وترك الأبيات التي بعد هذا البيت ، إذ كانت تُبيِّن الغرض وتكشف حقيقة اللفظ . ولو أن هذا البيت مفرد لايُبين تفسيرَه ماتبعه لم يكن فيه مقال لطاعن ، لأنه معلوم أن العالم كلَّهـم يستوون في الموت . وفي بعض الأحاديث : « الموت أول عدل الآخرة » ، إذ كان البشرُ فيه متساوين . وفي الكتاب العزيز : ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون . ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون [1] ﴾ فجعله ، صلى الله عليه ، مثلَ غيره في لقاء الموت . والأبيات أربعة كلها تشهد لموسى صلى الله عليه بالفضيلة أما البيت الأول فمترجم عن مثل قول القائل : ما الشريف عند المنية إلاّ كالوضيع ، وما العزيز في لقائها إلاّ كالذليل . ومثل ذلك في هذا الكتاب [2] .

(١) سورة الزمر : ٣٠ - ٣١
(٢) أي في كتاب لزوم مالا يلزم .

فالحق يحلف : ماعليٌّ عنده إلا كقنبر [٣] وأما البيت الثاني فهو كاشف للغرض في الأول لأنه شبهَ المنية بالأمة المقرورة التي توقد ناراً تريد أن تدفع بها شفيف القِرّة [٤] ، فهي تطرح إليها ماتيسر عليها من الحطب من السدرِ والغار . فأما السدر فهو مَثل لفرعون وغيره ممن لا فضيلة له ، وأما الغار ، وهو شجر طيّب الرائحة ، فهو مثل لموسى صلى الله عليه . وقد تردّد في أشعار العرب صفةُ الغار بطيب الرائحة . قال عديّ بن زيد [٥] :

أبصرت عيني عِشاء ضوء نارِ من سناها عَرْفُ هِنديٍّ وغارِ [٦]

---

(٣) البيت من قصيدة في لزوم مالا يلزم (١ : ٤٣٠ - ٤٣١) مطلعها :

عِشْ مجبَراً أو غيرَ مجبَرْ فالخلْـــقُ مربوبٌ مُدَبَّرْ

وقنبر : مولى علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٤) شَفيف القِرّة : شدّة لذع البرد .

(٥) عديّ بن زيد العبادي التميميّ ، شاعر جاهلي مشهور من أهل الحيرة . ترجمته في (الشعر والشعراء ، ١ : ١٧٦ - ١٨٥) و (الأغاني ، طبعة دار الكتب ، ٢ : ٩٧ - ١٥٤) و (شعراء النصرانية : ٤٣٩ - ٤٧٤) وفي (الأعلام ، ٥ : ٩ - ١٠) ذكر لمصادر أخرى وردت فيها أخبار هذا الشاعر .

(٦) مطلع قصيدة لعدي بن زيد قالها وهو في سجنه يخاطب النعمان بن المنذر أنظر أبياتاً منها في الأغاني (٢ : ١١٤ و ١٣٣) وفي شعراء النصرانية (٤٥٣) .

وقال أيضاً :

ربّ نارٍ بتُّ أرمُقُها تقضم الهنـــديَّ والغارا [٧]

فجعل الغار مقروناً إلى العود المجلوب من الهند . وأما البيت الثالث ففي مثـــل معنى البيت الثاني لأنه جعل المنيّة مثل الضبع لاتفرّق بين عبدٍ وحرّ ، ولا صعلوكٍ من القوم وملك . بل أيٌّ ذلك قدرت عليه أطعمته أجرياً لها في غار — أي في وجار — .

وأما البيت الرابع ففي صفة الضبع المشبّهةِ بها المنيّة ، وأنها تأخذ العضوَ الذي من شأنه النطق ، وهو اللسان المعدود من أشرف الأعضاء لأنه يذكر الله سبحانه ويفصح بتحميده ويقر بنعمه وإحسانه ، والعضوَ الأخرس الذي ليس له شرف اللسان ، فتلقي العضوين جميعاً إلى فمٍ يفغر بجميع ما نُبذ إليه ، ولا يفرّق بين الأشرف والدنيء . وإنما هذا المثل لموسى صلى الله عليه ومن سواه . وقد تبين تَشْريفُ موسى عليه السلام في هذه الأبيات من وجوه كثيرة ، لأنه جُعل كاللسان الناطق الذي يُسبّح الله ويقدّسه . أفما يستحي المتحامل أن يأتي بمثل هذه التمويهات الباطلة ويلبّس بها على

---

(٧) في الأغاني (٢ : ١٤٧) .

جماعة مغترّة ، ليتوصّل إلى أذاة من لم يتقـــدم إليه منه مضرّةٌ مايكره ولا يشين . وقد وصل البيت الذي ذُكر ، حرصاً على التشنيع ورغبةً في تضريب العامة[٨] على معنى التأريش[٩] ، ببيت ليس هو في الأبيات ، لأن البيت الأول مما ذُكِرَ قبلَ رويّه غين ، والبيت الذي بعده قبل رويّه نون ، وهو :

كفٌّ بخمسِ مِيءٍ من عَسْجَدٍ فُديت

ماباالها قطعت في ربع دينارِ ؟

وَعدَل عن الابتداء بالبيت الذي قبله ليتوصل إلى مالا ينفعه في الدنيا ولا في الآخرة من أذيّة من قد أمِنَ أذيّته . والبيت الذي تركَ :

تناقض ماله إلاّ السكوت له وأن نعوذ بمولانا من النار

وبعده البيت الذي ذكره . وهـذا القول مستنبط من الكتاب العزيز والحديث ، لقوله تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا[١٠] ﴾ فأمروا بالرضا والتسليم لأمر الرسول ﷺ ، وأن

(٨) تضريب العامة : إغراؤها .

(٩) التأريش : الإفساد والتحريش والإثارة ، وتأريش الحربِ والنارِ : إذكاؤها وتأريثها .

(١٠) سورة الحشر : ٧

يرجعوا إلى ما قال ويخالفوا العقول إذا أنكرت شيئاً مما في الشريعة . وعلى ذلك ذهب جِلّة المسلمين لأن علم الله سبحانه واسع خفيّ ، ولا ينبغي أن يُسأل عمّا أمرَ به : لِمَ كان ؟ ولا يُسلَّمُ علمُ ذلك إلاّ له ، تعالت قدرته . ولذلك قال : ﴿ وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم[١١] ﴾ وليس قوله « والراسخون في العلم » معطوفاً على اسم الله سبحانه وإنما هو ابتداء . وفي أحد المصحفين : « ويقول الراسخون في العلم » وفي المصحف الآخر : « والراسخون في العلم قائلون »[١٢] وليس لأحدٍ أن يعترض على أحـــكام الله جلّت حكمته فيقول : لِمَ حُرّم الربا وفيه منفعة كثيرة للضعفاء ومَربح لمن حُسب من الأغنياء ؟ لم حُرّم الميسر ؟ وإنما كانت تفعله رؤساء العرب والمتفضلون منها على أهل العُدمِ والإقتارِ ،

(١١) سورة آل عمران : ٧

(١٢) الظاهر أنه يعني بالمصحفين مصحف أبيّ بن كعب ومصحف عبد الله ابن مسعود . وأولى القراءتين اللتين ذكرهما قراءة أبيّ ، حكاها الطبري في التفسير ٦ : ٢٠٤ . وأما الثانية التي يعني بها على الأرجح قراءة ابن مسعود فلم نجدها في نصّها كما حكاها . والذي ذكره الطبري في تفسيره أن في قراءته « إن تأويله إلا عند الله ، والراسخون في العلم يقولون » .

حتى مدحَ به المادحُ قومَه ، وقاصدُ الملكِ مَلِكَه ، وعابوا على من يترك الميسر من الناس .

قال طرفة :

وَهُمُ أيسارُ لقمانَ إذا أغلتِ الشتوةُ أبداءَ الجُزُرْ[١٣]

وقال آخر :

إنَّ الرزيَّةَ ما ألاكَ إذا هَرَّ المخالِعُ أقدُحَ اليَسَرِ[١٤]

فهذا مدح لمن دخل الميسر . وقال الشاعر في ذمّ من تخلف عن ذلك :

(١٣) البيت لطرفة بن العبد البكري الشاعر الجاهلي المعروف من قصيدة له (الديوان : ٦٣) مطلعها :

أصحوتَ اليوم أم شاقتكَ هِرّ ومن الحبّ جنونٌ مستعرْ

والأيسار : أصحاب قِداح الميسر ، جمع يَسَر ، وهذه جمع ياسر . وأيسار لقمان بن عاد من العمالقة يُضرب بهم المثل في الكرم . والشتوة : السنة المجدبة القاسية ، والأبداء : جمع بَدْء وهو الجزء من الناقة ، والجُزُر : جمع جزور وهي هنا الناقة التي تُذبح للميسر .

(١٤) ورد هذا البيت في اللسان (مادة : خلع) منسوباً الى الخرّاز بن عمرو يخاطب امرأته ، والمخالع : المقامر ، وهرّ : كَرِهَ . وأورده المرتضى الزبيدي في (نشوة الارتياح ص ٥٤) منسوباً للشاعر نفسه .

من أنتمُ ؟ ليس فيكم رازن بَطَلٌ يوم الهياج ولا من تلتوي [يَسَرُهْ][١٥]

ولا ينبغي أن يُقال : لم جُعل للبنت النصف من الميراث وللابنتين فما زاد الثلثان ؟ فهذا وما أشبهه معنى قوله : « تناقض ماله إلاّ السكوت له » . ثم عطف على هذه الجملة قوله : « وأن نعوذ بمولانا من النار » .

فشفع الرضا والتسليم بالتعوذ من النار ، وجاء بالبيت الأول مبيناً بعض ما ينبغي ألاّ يُسأل عنه وأن يُرجَعَ فيه إلى النبي ﷺ ؛ كما لا يجب أن يُسأل : لِمَ جُعل في الذهب والورِق ربعُ العشر للمساكين إذا حال الحول ؟ هلاّ جُعل أكثر من ذلك أو أقل ؟ وهلاّ فُرّق في إيجاب الزكاة وتكثير الفروض بين من له عشرون [.....][١٦] أن لا يُسأل عنها ه . هذا كلام الشيخ على هذه الأبيات .

١٦١ — ب

(١٥) كلمة القافية مطموسة في الأصل . ولعلّها كما قدّرناه ، إذ لم يتيسر لنا تخريج البيت .

(١٦) هنا عبارة مطموسة جار عليها قص الهامش في المخطوط ، وقد تبلغ السطرين .

١ ــ يا طفل حلّت بك الرزايا فأنت منها صريمُ سَحْرِ (*)

٢ ــ بأي ذنبٍ أخذتَ فينا ؟ لم تجن إلاّ كذنبِ صُخرِ

قال أبو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في هذين البيتين :

إنكار هذا قد صدر عن قلبٍ مستولٍ عليه الشكّ متمكنٌ منه الإلحاد . فهما سمع من قولٍ يصرفه إليه . لأن الإنسان إذا كثرت همته بالشيء تصوّره في كلّ أوانٍ ، وتوهمه في اليقظة والرقاد ، كما قال :

ولو أنهـا عصفورة لحسبتها مسوّمة تدعو عُبيداً وأرثما (١)

أي هذا الخائف لما قد استقرّ في جوانحـه يتوهم العصفور

(*) من مقطوعة في لزوم مالا يلزم (١ ــ ٣٩٢) مطلعها :

عصرِ شتاءٍ وعصرِ قيظِ وعيد فطرٍ وعيـد نحرِ

وقد جاء شرح البيتين خلال ردّ أبي العلاء على المعترض عليه فيهما .

(١) أورده اللسان (زنم) منسوباً إلى العولم بن شوذب . وفيه (أزنما) بدلاً من (أرثما) ، وهو الصحيح .

فرساً مسومة تنتسب إلى هذين الحيّين ، وهما اللذان هزماه وأوقعا به وبرهطه . وكذلك قول الآخر :

ما زلت تحسب كلّ شيء بعدهم خيلاً تكرّ عليكم ورجالا (٢)

وكذلك جاء في الكتاب العزيز لما ذُكر المنافقون وما لا يزال بهم من الرعب : ﴿ كأنهم خُشبٌ مسنّدة ، يحسبون كلّ صيحة عليهم ، هم العدوّ ... (٣) ﴾ وكذلك هذا الملحد ــ أبعده الله ــ أي شيء سمعه تأوّله على ما ثبت في صدره .

فأما البيتان فليس فيهما ما ينكر ، وإنما هو كالتوجع لمن حلت به الرّزية وهو طفلٌ . والإجمـاع واقع من أهل الشرائع بأنّ الأطفال لا ذنوب لهم ، وأن تعويضهم يكون من عند الله . فإذا كان الطفل لا ذنب له وقد وقعت به المرزئة ، فينبغي أن يشتدّ حذر الكبير وفي هذا الكلام تخويف لما خرج من حال الطفولية . وهو جار مجرى العظة . ومثل ذلك أن يقول السلطان : ينبغي أن

(٢) البيت لجرير من قصيـدة له في هجاء الأخطل (ديوان : ٤٤٨ ــ ٤٥٣) مطلعهـا :

حيّ الغداة برامة الأطـلالا رسماً تحمّل أهـله فأحالا

(٣) سورة المنافقون : ٤

يرهبني صاحب النسك ! فقوله حضٌّ على الهيبة ولزوم حميد الطريقة لأن الناسك إذا لم يأمنه فالظالم أحق بسطوته وعقوبته . والتوجع لمن وقعت به الرزية موجود في كلام الأخيار من الصحابة والتابعين وغيرهم من سادات العالم ومتورعيه . وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه بكى على ولده إبراهيم فقيل له : يا رسول الله ! ألست تنهانا عن البكاء ؟ فقال : « تدمع العين ، ويخشع القلب ، ولا نقول ما يغضب الرّب ، وإنا عليك يا إبراهيم لمحزونون » . وقوله :

بأيّ ذنب أخذت فينا ؟

معنى قولك : « مالك ذنب يا طفل » قال الشاعر :

بأيّ جـــريرة أسلمتموني لأعداءٍ لكم يَكِيدون وَكدي[2]

أي : مالي جريرة . والذي يعترض على مثل هـذه الأشياء لو قدر أن يجعل الخذف[3] بالحصاة إلحاداً ، بَلْهَ القيـامَ واللعبَ وما هو جارٍ مجراها من أفعال الآدميين[4] ، وتلك بِغضةٌ وَقرتْ في

(٢) يكيدون وَكدي : يقصدون قصدي .

(٣) الخذف : رمي الحصى الصغار بأطراف الأصابع ، أو بالمخذفة وهي القلاع أو أداة من خشب تجعل بين الابهام والسبّابة .

(٤) الجواب محذوف وتقديره : لو قدر . . . لفعل .

الصدر إمّا لمخالفة من الطبـــع ، وإمّا لأمرٍ من القضاء لا يعلم .

وقوله : « صَريم سَحْرٍ » أي : قد يُئِس منه أو هلك . السَّحر : الرِئة . يقال للفتى الهالك أو الذي وقع منه اليأس : هو صريم سَحر ، أي : مقطوع السَحر . يقال : ماله إلاّ ذنب صُحْر ، أي : لاذنب له . وصُحْر - فيما قيل - : أخت لقمان بن عاد[5] قال الشاعر :

وعَباسٌ يُدِبُّ بيَ المنايا وما أذنبت إلاّ ذنب صُحْر[6]

هذا كلام الشيخ أبي العلاء على هذين البيتين ه .

(٥) انظر الحيوان للجاحظ : ١١ — ٢٢ ، وثمار القلوب للثعالبي ، ص : ٢٤٥ ، ومجمع الأمثال للميداني ٢ : ٢٦٤ .

(٦) نسبه الجاحظ في الحيوان ١ : ٢٢ ، والثعالبي في ثمار القلوب ، ص : ٢٤٥ لخفاف بن ندبة ، مع اختلاف في الرواية . والظاهر أنه يعني بـ (عباس) العباس بن مرداس ، وكان بينهما في الجاهلية شرّ وهجاء .

(٦٦)

١ ــ خُذِ المرآة فاستخبر نجوماً تُمِرّ بمطعَمِ الأري المَشور (*)

٢ ــ تَدُلّ على الحِمام بلا ارتيابٍ ولكن لا تَدلّ على النشورِ

قال ابو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في هذين البيتين :

هذا خطاب لمنجّم على سبيل العكس والسخرية . والعكس في القرآن [و] في كلام العرب كثير موجود . من ذلك قوله تعالى : ﴿ وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله [1] ﴾ ، إنما هذا محمول على القلب ، كما يقال لك : إنّ فلاناً يريد أن يستعين بك فتقول : كيف يستعين بي والأمر إليه ؟ أي هو على خلاف ذلك . ونحو من هذا قوله تعالى ﴿ فذرهم يخوضوا ويلعبوا [2] ... ﴾ ، فظاهر اللفظ أمرٌ ، وإنما هو وعيد ، وقد يجيء الأمر على معنى

(★) لزوم مالا يلزم (١ ــ ٤٠٠) .

والأريُ : العسل . وشارّ العسَل يشوره ، واشتاره : استخرجه واجتناه من خليته ، وتُمِرّه بمطعمه : تجعله مُرّاً .

(١) سورة المائدة : ٤٣ .

(٢) سورة الزخرف : ٨٣ ، وسورة المعارج : ٤٢ .

التقرير والتعجيز ، كما يقول الرجل لأسيره : إن قدرت أن تخلص من يديّ فاخلص ! ومن ذلك الآية : ﴿ فإن كان لكم كيدٌ فكيدون [3] ﴾ ، أي إنكم لاتقدرون على كيد . وكذلك قول القائل للمنجّم : خذ المرآة فانظر في النجوم ! ، إنما المعنى أنك لاينبغي أن تنظر فيها . وقد يقول الانسان لولده إذا رآه يلعب : الزم لعبك ودع ما يهمّك ! فينطق بلفظ الأمر ، ويعلم الولد على صغره أنه يزجره عن اللعب بذلك [الوقت ، وقوله][4] : « تُمِرّ بمطعَمِ الأري المشورِ » أي أنها لاتأتيك بخير ، لأنها تجعل الأريَ المشور مُرّاً مثل الصاب [المرّ . فإن][5] كنتَ يامنجّم بزعمك تستدِلّ على الموت بما تلقيه إليك الكواكب ، ولا تستدل على أمر الآخرة ، وقد كان ينبغي لك أن تكون [ذا عفة[6]] وأن يحثك ما تعانيه من تنزيل النجوم في منازلها ومسيرها في بروجها على أن تكون من أوثق البريّة ديانة وأعظمهم نسكاً وتحرّجاً ، على غير هذه السّجيّة هـ . هذا كلام الشيخ أبي العلاء في هذين البيتين .

ب ــ ١٦٥

(٣) سورة المرسلات : ٣٩ .

(٤) و (٥) و (٦) مابين القوسين مطموس في الأصل وقدّر بمقتضى سياق العبارة .

(٦٧ ــ ٦٨)

١ ــ عليك العقلَ فافعل مارآه جميلاً فهو مُشتار الشوارِ (★)
٢ ــ ولا تقبل من التوراة حكماً فإن الحق عنها في توارِ

(٦٧)

قال أبو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في البيت الأول :

قد تكرّر القولُ في أنّ الجمل تُحذف منها أشياء وهي مُرادة في المعنى ، كالأمكنة والأزمنة والأنباء المتعلّقة ببعض الشخوص دون بعض . وليس في الأرض بالغ ولا دون بالغ يجــوز بيعه و (لا)[1] شراؤه أو يُسلم في المكتب يرجى بذلك منفعتــه إلاّ

(★) من قصيدة في لزوم مالا يلزم (١ ــ ٤٠١) مطلعها :
أوى ريّ إليّ فما وقوفي على تلك المنازل والأواري
ومشتار الشوار ، أي خير نصيح ومشير . والشوار : مصدر شاور في الأمر بمعنى استشار . ومشتار : اسم فاعــل من اشتار العسلَ أي اجتناه من خليته .

(١) كذا . والمعنى يستقيم بحذف (لا) .

وهو يستعمل العقل . فليت شعري عن هذا المتكلّم المعترض : بعقل أم بغير عقل ؟ إن زعم أنه بعقل فقد نقض ما أنكر ، وإن زعم أنه بغير عقل فقد شهد على نفسه بالجنون . وإنما المعنى : عليك بالعقل تستعمله في بيعك وشرائك وطلب المصلحة لنفسك وا[فعل ما يرى][2] فعله من برّ وصدقة . فهذه جملة يخرج منها ما أُمِرَ به الناس من تركِ المعقــول [لِما][3] أمرَ به الأنبياء صلى الله عليهم[4] .

ويقال لهذا المعترض : أخبرنا عن قوله تعالى ﴿ أفلا يَتدَبّرون القرآن[5] ﴾ أبعقول أُمِروا أن يتدبّروه أم بغير عقول ؟ وكذلك قوله : ﴿ فاعتبروا يا أولي الأبصار[6] ﴾ أفأصحاب

(٢) و (٣) مابين القوسين مطموس في الأصل وقدّر بمقتضى سياق العبارة .
(٤) سبق لأبي العلاء أن عرض هذا المعنى في ردّه على المعترض عليه في قوله : « تناقض ماله إلا السكوت له ... البيت) فقال : « هــذا مستنبط من الكتاب العزيز والحديث لقوله تعالى : وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا . فأمروا بالرضا والتسليم لأمر الرسول ﷺ ، وأن يرجعوا إلى ما قال إذا لم تدرك العقول شيئاً مما في الشريعة . (انظر النص : ٦٤) .
(٥) سورة النساء : ٨٢ ، وسورة محمد : ٢٤ .
(٦) سورة الحشر : ٢

العقول خاطبَ أم من هو جارٍ مجرى السَّوام ؟ ولو كان العقل لايُرجع إليه لما كان لقوله تعالى : ﴿ ولا تؤتوا السُّفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً [٧] ﴾ معنىً يُفاد لأن [العقل إذا لم يُرجع إليه فإنه لا [٨]] فضيلة له على السفه ؟ هـ .

هذا كلام الشيخ أبي العلاء .

(٦٨)

قال أبو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في البيت الثاني : [٩]

العجب لإنسانٍ يدعي أنه من المسلمين ثم ينكر بعد ذلك ماذكر في هذا البيت من أن التوراة حكمها غير صحيح ، فقد ألزم نفسه أن يسبت مع اليهود وأن يحرّم ذبائح المسلمين وأن يُعيّد عيد النهشة وعيد الفطير . وإذا قُضي له أن يمرّ ببيت المقدس خرّق ثيابه ولَطَمَ وجهه كما يفعل بنو إسرائيل ! فليت شعري عن

(٧) سورة النساء : ٥

(٨) مابين القوسين مطموس في الأصل وقدّر بمقتضى سياق العبارة .

(٩) الذي صدره : (ولا تقبل من التوراة حكماً) .

هذا المتسرّع إلى ما هو غنيٌّ عنه : هل أكلَ مضيرة [١٠] في هذا الربيع ؟ فانّ أكلَها في التوراة حرام ! ومن يقول هذه المقالة لايجوز أن يُشغل وقت في الرّد عليه . وقول القائل :

. . . . . فإنّ الحقّ عنها في توارٍ

أي أنها قد غُيرت ، وليست التي نزلت على موسى صلى الله عليه . وقد رُوي في بعض الأخبار أنهم في عهدِ بُختُ نصّر [١١] طمروا التوراة فتلفت في الدفنِ . فأدركهم لذلك خطب عظيم . فرجعوا إلى رَجُلٍ كان يدّعي حفظها أو يظنون به ذلك ، فزاد فيها ونقص وأوقع بها التغيير . ومع هذا فإنها منسوخة بالقرآن ، فقد وجب ترك حكمها والأخذ بما هو مسطور فيه . ورُوي أن كعب الأحبار [١٢] جاء بعض ولاة الأمر بعد النبي ﷺ ، ومعه

(١٠) المضيرة : نوع من الطبيخ عرفه العرب منذ القديم ، وهو اللحم في اللبن المضير أي الحامض ، وأكلها محرم عند اليهود ككل طعام ذي روحين ، وذلك على مبدأ : لا تأكل الجدي بلبن أمه .

(١١) بختُنصّر الثاني أو الكبير ، ملك بابل ، الذي خرب مملكة يهوذا وعاصمتها بيت المقدس سنة ٥٨٧ قبل الميلاد .

(١٢) هو كعب بن مانع الحميري من التابعين . كان من علماء اليهود في الجاهليّة وأسلم في زمن أبي بكر ، وعنه رُوي كثير من أخبار الأمم الأخرى . توفي سنة ٣٢ هـ في مدينة حمص (الأعلام : ٦ — ٨٥) .

كتابٌ مشرَّمٌ ، أي : مُشَقق قد أبلاه القِدم ، فقال : هـذه التوراة ، أفتأمرني أن أقرأها على الناس ؟ فقال : إن كنت تعلم أنها التوراة التي نزلها الله على موسى فاتْلُها في آناء الليل وأطراف النهار . وإنما هـذا إعلام [أن التوراة لا يقبل حكمها][13] فقد جرى عليها تبديل وفساد ه . هذا كلام الشيخ أبي العلاء .

* * *

(١٣) مابين القوسين مطموس في الأصل وقُدّر بمقتضى سياق العبارة .

١ ــ وأعرض عن جَوار الدار أوفت
عليه بزينةٍ أُصــلاً جَوارِ [*]

٢ ــ تَطَلَّعُ في سِوارِك باختلال
إلى خلخــالِ غيرِك والسِوارِ [1]

. . . . . .

٣ ــ وإن مَرَّ الصِوارُ فلا تَلَفَّتْ
بمطّرِدِ النسيم إلى الصِوارِ [2]

٤ ــ فوارٍ من زنادك مثل كابٍ
إذا ما حَلّت الغِيَرُ الفواري [3]

(*) من القصيدة آنفة الذكر . وكل بيت من أبيات هذه القصيدة مبني على المجانسة بين احدى كلماته وكلمة القافية .

وجَوار الدار : فناؤها وما حاذاها ، والجواري : جمع جارية .

والسوار ـ في صدر البيت الثاني : سور الدار وحائطها ، وفي آخره : نوع من الحلي معروف .

والصوار ـ في صدر البيت الثالث : الضرب من النساء ، وفي آخره : المسك .

وقوله فوارٍ ـ في صدر البيت الرابع : من وري الزند بمعنى اتقد

٥ ـ أسربُ حَـوْلَ دَوّارِ نساءً

بمكةَ أو عـذارى في دَوارِ [1]

لو كان للدين مُسْكة أو للمتظاهر به بقيّة لوجب أن يُقابل هذا المتخرص بما يستحق . ألم يسمع قبل هذا البيت :

تَطَلَّعُ في سِوارك . . . . البيت

و

وإنْ مَرَّ الصَّوارُ . . . . البيت

أنكرَ من يَطَّلِعُ إلى جارِه فينظرُ إلى حُرَمه ، ونهى عن التلفّت إذا مرَّ الصُّوار – وهو هاهنا السِّرب من النساء شُبِّهَ بالسِّربِ من بقر الوحش – ، فزجر عن التفات الرجل إلى النساء إذا فاحت منهنَّ الروائح الأرِجة . والمِسك يسمى صِواراً . قال الشاعر :

وخرجت فارة ، والفواري – في آخره – : جمع فارية ، من فرى يفري بمعنى قطع .

والدَّوّار – في صدر البيت الخامس ، بفتح الدال أو ضمها مع تشديد الواو – : الكعبة ، ودوار – في آخر البيت ، بتخفيف الواو – : اسم صنم .

إذا مَرَّ الصِوار ذكرت ليلى وأذكرها إذا فاح الصوارُ [1]

و « مُطَّرَدُ النسيم » يحتمل وجهين : أحدهما أن تكون الأرض التي يطّرد النسيم منها ، لأن الطيب إذا تنسّمت له الريح اشتد تضوّعه لذلك . والآخر أن يكون « مطّرد النسيم » مراداً به الأنف والمنخر . وكذلك فسّروا قول الشاعر في وصف الفرس :

وكأنَّ مطّرَدَ النسيم إذا جرى بعد الكلال خليّتا زنبور [2]

والمعنى [3] : أغضِ أيها الناظِر عن النساءِ ولا تشوّف إليهنّ حتى تكونَ جاهلاً بأمورهنّ فلا تدري : أعوانٍ طفنَ بالكعبة أم عذارى في دَوار ، وحتى يستويا عندك فلا تنظر إليهن . وقد كان المتمرّدون من شعراء الإسلام يصفون نظرهم إلى حواجّ البيت ، قال عمر بن أبي ربيعة :

---

(١) ورد البيت في مادة : صور في كل من (اللسان) و (مقاييس اللغة) بدون نسبة ، وفيها لاح بدلاً من مرّ ، ونفح بدلاً من فاح .

(٢) أورده كل من (اللسان) و (مقاييس اللغة) في مادة (طرد) بدون نسبة . ومطرد – بفتح الراء – : مكان اطراد النسيم .

(٣) أي معنى البيت الذي هو موضع الاعتراض .

زجر التابع ٩

وكم مالىءٍ عينيه من شيء غيره

إذا راح نحو الجَمرة البيضُ كالدمى [٤]

وقال آخر :

ذكرت ابنةَ الجوديّ ليلى على النوى

فما لابنة الجوديّ ليلى وما ليا

وكيف تُلاقيها بلا ولعلّها

إذا الناس عجّوا قائلاً أن تؤاتيا [٥]

هذا كلام الشيخ أبي العلاء . على هذه الأبيات .

(٤) الجمرة : موضع رمي الجمار بمنى وهي جمرة العقبة .

(٥) عجّوا : رفعوا أصواتهم بالتلبية في الحج .

(٧٠)

١ — أصاحِ كأنّ هذا الدهرشهر خلِقنا منه في ليلِ السِّرارِ [٢]

٢ — وكم عادٍ أبادَ وكم ثمودٍ أتاها صالحٌ ذاتَ المرارِ

قال ابو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في هذين البيتين :

قد رُويت في هذا أخبار كثيرة ، منها ماذكره ابن اسحق [١] في المبدأ [٢] أن الأرض كانت مسكونة قبل آدم صلى الله عليه . وكان الذين يسكنونها يعرفون بالجنّ [٣] ، وأنّ حوّاء كانت تتعلّم العجن والخبز ومصالح شؤونها من نساء الجنّ . وقد جاء في

(★) من قصيدة في لزوم مالا يلزم (١ — ٤٠٢) مطلعها :

وجدتُ الناسَ كالأرضين شتّى فمن دَمِثٍ يُرَبّع أو حِرارِ

وليل السرار : آخر ليلة في الشهر ، وذاتُ المرار : أي في الأرات نفسها .

(١) هو محمد بن اسحاق بن يسار المطّلبي صاحب السيرة النبوية المعروفة التي رواها عنه ابن هشام ، توفي سنة ١٥١ هـ . (الأعلام ، ٦ : ٢٥٢) .

(٢) لابن اسحاق كتاب بهذا الاسم ذكره ياقوت في الإرشاد (١٨ : ٨) .

(٣) في اللسان (مادة جنن) . الجن خلق بين الجنّ والانس .

حديث آخر أن الأرض كان فيها قوم من الجنّ فأخذوا يفسدون ويسفكون الدم ، وأن الله جلّت عظمته أرسل إليهم إبليس فأجلاهم عن الأرض فلحقوا بالحجاز والجزائر . وقال بعض المفسّرين في قوله تعالى حكاية عن الملائكة : ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك[٤] ﴾ أي تجعل فيها من يفعل كما فعل القوم الذين كانوا [فيها] مقيمين . وفي بعض ما يُسنَد من الأحاديث أن الله خلق عَرَمَةً[٥] من خردل يعظم ماهي عليه من الكثرة ، وخلق طائراً أعمى يجيء في كل مدّة طويلة ، وفي بعض الروايات يجيء في كل أربعة وعشرين ألف سنة فيأخذ من ذلك الخردل حبّة . فلما فرغت تلك العَرَمة خلق الله آدم وأسكنه في الأرض . وفي حديث آخر مُسنَد أن موسى عليه السلام خطر في نفسه وهو واقف على الطور ، والله عزّ سلطانه يكلّمه ، فقال في خَلَده : لقد أكرمني الله كرامةً عظيمة لأنه لم يؤهّل نبياً لهذه المنزلة . فكشف الله له عن الآزال

(٤) سورة البقرة : ٣٠ .

(٥) العَرَمة : الأنبار من الحنطة والشعير ، والكدس من الحنطة في البيدر (اللسان) .

والآباد ، فنظر في تلك الساعة [من مكا] نه إلى سبعين ألف طور عليها سبعون ألف رجل كلّهم يعرف بموسى بن عمران ، والله سبحانه يناجيه . وليس ذلك بديعاً من ملك الله ، لأن المملكة الغيبية واسعة لايعرف كنهها المخلوقون . وليس هذا دافعاً لقول من يقول : عمر الدنيا ستة آلاف سنة أو سبعة آلاف سنة لأن الله جلّ جلاله يجوز له أن يخلق عالماً ويُفنيه في أقصر وقت ، فكيف في هذه المدّة المتوسّطة ه . هذا كلام الشيخ أبي العلاء .

١٦٧ — آ

* * *

(٧١ ــ ٧٢)

١ ــ آليت لاينفك جسمي في أذىً

حتى يعـــود إلى قديم العنصر (*)

٢ ــ وإذا رجعت إليه صارت أعظمي

تُرْباً تهافتُ في طوالِ الأعصر

(٧١)

قال أبو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في البيت الأول :

فأعوذ بالله من قومٍ يسمعون كلام الطاعن في هـذا البيت ثم لاينهونه عن ذلك . لاجعلهم الله كما قال الطائيّ :

لايوحشنّك من دهمائهم عددٌ فإن أكثرهم بل كلّهم بقرُ (١)

(*) من قصيدة في لزوم مالا يلزم (١ ــ ٤٠٧) مطلعها :

أصحاب الأيكِ أهلكوا بظهيرةٍ حميتْ وعادٌ بالرياح الصرّصرِ

(١) البيت في قصيدة لأبي تمّام في مدح عمر بن عبـــد العزيز الطائي (الديوان ، ٢ : ١٨٤ ــ ١٩٠) مطلعها :

يا هذه أقصري ، ما هذه بشرُ ولا الخرائد من أترابها الأخرُ

ويروى (لا يدهمنّك) بدلاً من (لا يوحشنّك) .

أفلا يعلم كل من له حِسٌّ أنّ من يشتكي يده أو رجله أو غيرهما من أعضاء الجسد ، إذا سكن بالموت فقد زال عنه ذلك الألم ؟ ولا اختلاف بين الأمم في ذلك . وفي الحديث المأثور أن النبي ﷺ في أُحـد ، لمّا قُتل عمّـه حمزةُ ـ رضوان الله عليه ـ وقع في طريق الخيل ، فتهيّب المسلمون العبور عليه ، فقال : « طؤوه بحوافرها فإنما هو اليوم مَدَر » فأعلم بهـــذه المقالة أن الجسد بعد الموت لايبقى فيه حسّ يجد به الألم وقال ابن مقبل[٢] .

هل الدهر إلاّ تارتان فمنهما

أموت وأخرى أبتغي العيشَ أكدح

وكلتاهما قد خُـــط لي في صحيفتي

فَلَلْعيشُ أهوى لي ولَلْموتُ أروحُ

وابن مقبل إسلامي ، وقد رأى الصحابة وسمع الكتاب المنزل . وادّعاؤه [٣] أن هذا القول كقول الفلاسفة بهتان مبين . لأن

---

(٢) هو تميم بن أبيّ بن مقبل ، شاعر جاهلي أدرك الاسلام . أخباره في الشعر والشعراء (١ : ٤٢٤ ــ ٤٢٨) .

والبيتان من قصيدة أوردها المرصفي في رغبة الآمل (٧ : ٩٦) .

(٣) الضمير يعود على الطاعن .

« العنصر » يتكلم به جميع العرب ، ويقولون : فلان من عنصر كريم ، ومن عنصر لئيم . وقد مضى الكلام في « القديم » وإنما يُعنى به ما كان قبلَ غيره في الزمن وإن كانت المدة قصيرة ، كما يقال : عنترة العبسيّ أقدم من ابن مقبل . ونحو ذلك قول المرقّش[٤] :

لابنة عجلانَ بالجزعِ رُسومُ لم يتعفّيْنَ والعهدُ قَديمُ

وإنما أراد بالقديم ماأتى له سنتان أو ثلاث ، لأن الشعراء بذلك عرفت عادتهم . فإن زادوا على ذلك المقـــدار فإنما يبلغون عدداً ليس بمتطاول ، إذا عاشه مولود في زمن ، قيل له شبابٌ مقتبَل ، قال امرؤ القيس :

وهل ينعمَنْ من كان أقدم عهده ثلاثين شهراً في ثلاثة أحوالِ ؟[٥]

فهذا يدلّ على أنّ المرقش إنمـــا أراد بالقديم نحوَ ما أراد به امرؤ القيس . وأبان النابغة تقادم العهد بأكثر من هذه المدة فقال :

(٤) هو ربيعة بن سفيان الملقّب بالمرقش الأصغر ، من الشعراء الفرسان في الجاهلية . والبيت مطلع قصيدة له في المفضّليات (٢ : ٤٧) .

(٥) البيت من قصيدة لامرىء القيس (الديوان : ١٣٨) مطلعها :

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي

توهمتُ آياتٍ لها فعرفتهـــا لستة أعوامٍ وذا العام سابع[٦]

وقد بلغ زهير من الحجج عشرين فقال :

وقفت بها من بعد عشرين حجّةً فلأياً عرفت الدار بعد توهم[٧]

فهذه المُدَد كلها قديمة عند العرب . فكيف يستجيز القائل أن يَدّعي أن قوله[٨] : « قديم العنصر » يريد به مذهب الفلاسفة ويحكم بذلك حكماً يزعم أنه موجبُ الرّدّة والميلَ عن المحجّة ؟ هذا كلام الشيخ على هذا البيت .

(٧٢)

قال أبو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في البيت الثاني :

ما الذي أنكر من هذا القول البيِّنِ في المعقول ، المدركِ بالحس : أن تصير هـذه الأجساد هباء ، فما ظهر منها للريح عصفت به كما تعصف بالتراب . هذا اعتراضٌ ما جواب من ينطق بمثله إلا الصمت .

(٦) البيت من اعتذاريّة للنابغة الذبياني (الديوان : ٤٩ — ٥٧) مطلعها :

فجبنا أربك فالتلاع الدوافع عفا ذو حسا من فرتنى فالفوارع

(٧) البيت من معلقة زهير بن أبي سلمى المشهورة .

(٨) أي قول أبي العلاء في البيتين اللذين هما محلّ الاعتراض .

فإن لم تصبر الغريزة على الصموت فإنما يجب أن يؤخذ بأدب الآية : ﴿ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً [٩] ﴾ ه . هـذا كلام الشيخ أبي العلاء .

* * *

(٩) سورة الفرقان : ٦٣ .

(٧٤ — ٧٣)

١ — والعقل يَعْجَبُ للشروع : تَمَجُّسٍ
وتَحَنُّفٍ وتَهـــوُّدٍ وتَنَصُّرِ ! [*]

٢ — فاحذرْ ولا تذرِ الأمور مُضاعَةً
وانظـــر بقلب مفكرٍ مُتَبَصِّـــرِ

(٧٣)

قال أبو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في البيت الأول :

ما أجهل هذا الملحد وأقلّ معرفته بالكلام . أيجعل التعجب من الشيء إنكاراً له ، أي نفياً ؟ فأبعده الله ! أما سمع قوله تعالى في الحكاية عن الجنّ : ﴿ إنّا سمعنا قرآناً عجباً [١] ﴾ ؟ وإنما عجبوا من عِظَم شأنه وإعجازه . ولم يزل العَجَبُ والتعجب يقعان في

(★) من القصيدة آنفة الذكر .
(١) سورة الجن : ١

أصناف الأقوال على معنى استحسان الشيء والمدح له . قال قيس ابن الخطيم[٢] :

تخطو على بَرْدِيَّتين غداهما غَدَقٌ بساحة حائرٍ يعبوبِ
ممكورة يغدو عليها [... ....] منها لأي عجيب[٣]

والتعجب الذي وضعه النحويون إنما هو من عِظَم الشيء لامن إنكاره والتهاون به . فالعقل يعجب من حسن التحنّف وعظمه وعاجل منفعته . وإن من يجعل مثل هذا نكيراً لغير مأمون أن يدعي

(٢) قيس بن الخطيم شاعر الأوس في الجاهلية أدرك الاسلام ومات قبل أن يدخل فيه (الأعلام ، ٦ : ٥٥) .

(٣) البيت الأول من قصيدة لابن الخطيم في ديوانه (ص ٥) وفي حماسة ابن الشجري . مطلعها :

أنسَى مَتَرَّبتٍ وكنتِ غيرَ متروبِ وتقرّب الأحلامُ غيرَ قريبِ

والماء الغدق : الغزير الكثير . والحائر : المكان الذي يتخيّر فيه الماء إذا امتلأ ، أي يتردّد . واليعبوب : النهر الكثير الماء الشديد الجرية . والشاعر يشبّه في هذا البيت ساقي المرأة بساقي نبتتين مخضلّتين من نبات البرديّ في أرض رواها المطر الغزير . وقد ورد هذا البيت أيضاً في المقاييس (٢ : ١٢٣ و ٤ : ٢٤) . أما البيت الثاني فليس في الديوان ولا في حماسة ابن الشجري ، ولذا لم يتيسر تدارك الكلمات التي وردت فيه مطموسة في الأصل . وقوله ممكورة في أول هذا البيت : أي ممتلئة .

على القائلين : « لا إله إلا الله » أنهم ملحدون لأنهم ابتدءوا في أول كلامهم بالنفي . والإصغاء إلى مثل هذا المتكلم تقوية للحديث : « لا تقوم الساعة حتى [.....[١]] .

(٧٤)

قال أبو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في البيت الثاني :

ما الذي ينكَر على هذا البيت وهو متابع للكتاب العزيز ، لأن فيه التحذير من عقاب الله سبحانه والتفكر في عظيم مصنوعاته وبديع قدرته ، وذلك مندوب إليه في غير موضع من القرآن كقوله تعالى : ﴿ ويتفكرون في خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار[٢] ﴾ ٥ . هذا كلامه .

(١) تتمة الحديث : مطموسة في الأصل . وعندك أحاديث كثيرة في علائم الساعة تناسب المقام لاندري أيها المقصود .

(٢) سورة آل عمران : ١٩١

١ ــ وقد ادّعى من ليس يَثْبُتُ قوله

عِظمَ الجسومِ وبسطة الأعمار (*)

٢ ــ ما كابرٌ إلا كآخرِ غابرٍ

والحــق يُعلمُ وجهه بأمــارِ

قال ابو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في هذين البيتين :

قد مضى الكلام على مثل هــذا (١) . فأما ما كان متعلّقاً منه بالكتاب العزيز والحديث المأثور فلا يُدفع بل يُقابَل بالإثبات ، لأنّ الله سبحانه جائز أن يخلق من أراد وأن [يُعمّر] (٢) ابن آدم ما لاينقضي من الأزمان . فأما السَّفِلة ومن جرى عادته بالكذب فواجب ردّ ما قال .

(*) من قصيدة في لزوم مالا يلزم (١ ــ ٤١٣) مطلعها :

سبحان ربك ! هل يزول كغيره شرف النجوم وسؤدد الأقمار ؟

(١) انظر النص (٥٣) فقد سبق لأبي العلاء أن عرض فيه لمثل هذا .

(٢) هذه الكلمة سقطت من الأصل ، وسياق العبارة يقتضي وجودها .

وقد تكرّر القول في أن الأخبار تكون متعلقة بالتبعيض وغيره مما يعلمه المُخْبَرُ والمُخْبِرُ ، كقوله تعالى : ﴿ أما من استغنى فأنت له تصدّى (٣) ﴾ . وقد عُلِم أن النبي صلى الله عليه كان في زمانه خلق من الأغنياء في آفاق البلاد ، وأن الذي أريد بذلك الأغنياء الذين كانوا بمكة وماقرب منها . وقد يمكن أن يكون المعنيُّ واحداً بعينه ، لأن كثيراً من التفسير قد جاء على ذلك (٤) . وهو سائغ أن تقول للرجل إذا رأيته يكلّم رجلاً خشن اللباس : « أما من خشن لباسه فأنت مائل اليه » ولم يره يميل إلاّ إلى رجلٍ دون غيره . وقد خصّ المفسّرون الآيات المنزلة في كثير من المواضع ، كقوله تعالى : ﴿ ومن الناس من

---

(٣) سورة عبس : ٦

(٤) جاء في أسباب النزول للسيوطي (٧٤٨) أخرج الترمذي والحاكم عن عائشة قالت : أنزل (عبس وتولّى) في ابن أم مكتوم الأعمى . أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول : يارسول الله أرشدني . وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين . فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه ويقبل على الآخر فيقول له : أترى فيما أقول بأساً ؟ فيقول : لا . فنزلت (عبس وتولى أن جاءه الأعمى) . وفي أسباب النزول للواحدي (٣٣٢) مثل ذلك .

يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويُشهد الله على مافي قلبه وهو ألدُّ الخصام[٥] ﴾ ، فظاهر هذا اللفظ يدلّ على أن في العالم جماعة بهذه الصفة . وهم يذكرون أن الآية نزلت في الأخنس بن شُريق الثقفي وكان حليفاً لبني زهرة[٦] . وكذلك قوله : ﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ، والله رؤوف بالعباد[٧] ﴾ يزعمون أنها نزلت في صُهيب بن سنان[٨] واللفظ فيما ظهر شامل عام .

(٥) سورة البقرة : ٢٠٤

(٦) ذكر السيوطي في (أسباب النزول : ٨٧) : أخرج ابن جرير عن السدّي قال : نزلت في الأخنس بن شريق ، أقبل إلى النبي ﷺ وأظهر له الاسلام فأعجبه ذلك منه . ثم خرج فمر بزرع لقوم من المسلمين وحمر ، فأحرق الزرع وعقر الحمر ، فأنزل الله هذه الآية .

(٧) سورة البقرة : ٢٠٧

(٨) ذكر السيوطي في (أسباب النزول . ٨٨) : أخرج الحارث بن أبي أسامة في مسنده ، وابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيّب ، قال : أقبل صُهيب مهاجراً إلى النبي ﷺ ، فاتبعه نفر من قريش ، فنزل عن راحلته وانتثل مافي كنانته ثم قال : يامعشر قريش ، لقد علمتم أني أرماكم رجلاً ، وأيم الله لاتصلون إليّ حتى أرمي كل سهم معي في كنانتي ، ثم أضرب بسيفي مابقي في يدي منه شيء ، ثم افعلوا ماشئتم . وإن شئتم دللتكم على مالي بمكة وخليتم سبيلي . قالوا : نعم . فلما قدم على النبي ﷺ المدينة ، قال : ربح البيع أبا يحيى ، ربح أبا يحيى ! ونزلت (ومن الناس من يشري نفسه . . . الآية) .

وكذلك قوله : ويلٌ للمطففين[٩] ﴾ ، اللفظ لفظ الجميع ، وقيل إنها نزلت في رجل بعينه كان يبخس الكيل بالمدينة لما نزلها النبي صلى الله عليه يقال له أبو جهينة[١٠] . وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساءٍ عسى أن يكنّ خيراً منهنّ[١١] ﴾ فزعم المفسّرون أن المعنيّ باللفظ الأول ثابت بن قيس بن الشمّاس[١٢] وباللفظ الثاني امرأة كان تزوجها النبي ﷺ - وقد مرّت خديجة ابنة خويلد -

(٩) سورة المطففين : ١

(١٠) ذكر الواحدي في (أسباب النزول : ٣٣٤) : قدم رسول الله المدينة وبها رجل يقال له ، أبو جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر ، فنزلت هذه الآية .

(١١) سورة الحجرات : ١١

(١٢) ذكر الواحدي في (أسباب النزول : ٢٩٤) ، — قوله تعالى (لايسخر قوم من قوم . .) نزل في ثابت بن قيس بن شماس . وذلك أنه كان في أذنه وقر ، فكان إذا أتى رسول الله ﷺ أوسعوا له حتى يجلس إلى جنبه فيسمع مايقول . فجاء يوماً وقد أخذ الناس مجالسهم فجعل يتخطى رقاب الناس ويقول : تفسحوا تفسحوا ! فقال له رجل : قد أصبت مجلساً فاجلس . فجلس ثابت مغضباً ، فغمز الرجلُ فقال : من هذا ؟ فقال : أنا فلان . فقال ثابت : ابن فلانة ! وذكر أماً كانت لهُ يعيّر بها في الجاهلية ، فنكس الرجل برأسه استحياء ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

ويقال لها أم المساكين ، وأسمها زينب بنت خزيمة بن الحارث بن [عبد الله] بن عمرو بن عبد [مناف] بن هلال بن [عامر بن صعصعة][13] فمثل هـــذا كثير لايُحصى . وقوله : « من ليس يثبت قوله » مراد به في هـــذا البيت بعض دون بعض ه . هذا كلام الشيخ .

* * *

(١٣) انظر طبقات ابن سعـــد ٨ : ١١٥ (طبعة بيروت) . وما بين الأقواس مطموس في الأصل . وذكر في سبب نزول هـذه الآية أن عائشة كانت تسخر من زينب بنت خزيمـــة الهلالية وكانت قصـيرة . انظر البحر المحيط ٨ : ١١٣ .

١ ــ داران : أمّا هـذه فمسيئة جدّاً ، ولا خبرٌ لتلك الدار[★]

٢ ــ ماجاء منهـا وافد متسرّع فيقول للنبأ الجديد : بَدارِ !

قال أبو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في البيت الأول :

هذا إقرار بدارين ، فأبان ذلك عن خـلاف قول العرّيض الـكاذب . وقوله : « لاخبر لتلك الدار » ، الأخبار عن الآخرة على ضربين : نبويٍّ سابق ، ونبويٍّ منتظر لايوصل إليه إلاّ في القيامة . فالأخبار السابقة هو ماجـاء من ذكر الحساب والعقاب والتحذير منهما والترغيب في الجنّة والتخويف من النار . فهـــذه صحيحة قد أخـذ بها الشرعية . والمنتظرة هـــي أنباء القيامة التي تُشاهَد في الآخرة . فأما الخبر الذي نُفي في قوله : « ولا خبر لتلك الدار » فمعناه أن الأخبار لاترد عن الموتى برسالة منهم ولا

(★) من قصيدة في لزوم مالا يلزم (١ : ٤١٦) مطلعها :
ما حُرّكت قدمٌ ولا بُسطت يدٌ إلا لهـا سبب من القدار

كتاب ، ولا يُؤمَل أن يُبعث منهم مبعوث إلاّ في المحشر . وقد تردّد مثل ذلك في الشعر الذي قبل الإسلام . قال الشاعر يخاطب ميتاً :

لكَ الخير ! إنّا لم يَضِحْ لك أمرنا ولم يأتنا عمّا لديك يقين

وقال عبد الله بن المعتز وذكر أقواماً أمواتاً :

كيف السبيل إلى لقائهمُ أو من يحدّث عنهمُ خَبَرا ؟

يعني أنه لا يجيئه عن الميت حقيقة إلا إذا شاء الله وبعثه في الآخرة ه . هذا كلام الشيخ .

* * *

(٧٧)

١ — كم مسلمٍ عبد الهوى فوجدته

فيما يَحُلُّ كعاقد الزنار(*)

٢ — كذبوا إن ادّعوا الهدى وجميعُهمْ

يَسرون في تيهٍ بغير مَنار

٣ — فاهرب بدينك من أولئك إنّهم

حَرَبوك واحتربوا على الدينار(١)

ما يزال هذا المتكلم يخبط في أفانين الجهل ويتعسف في حنادس الظلام ، وإنه لغنيٌّ عن فروع الدين وأصوله . أما علم أن المسلم إذا عبد هواه فهو حائد عن عبادة الله ، وقد وجب عليه حكم المرتد ؟ وتلك شرّ من حال الذمي ، لأن الكتابيين إذا أدوا

(★) من مقطوعة في لزوم مالا يلزم (١ : ٤١٧) مطلعها :

غسل المليك بلادَه من أهلها بالماء إذ جاءوا بسوء شنار

وعاقد الزنّار : الذمّي .

(١) حربوك : سلبوك مالك . واحتربوا : تحاربوا .

الجزية وجب على الإمام أن يحوطهم كحياطة غيرهم من أمة محمد ﷺ أفما سمع هـذا المعترض قوله تعالى : ﴿ فأما من طغى ، وآثر الحياة الدنيا ، فان الجحيم هي المأوى ، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فان الجنة هي المأوى[٢] ﴾ . أفما علم أن عبادة هواه مؤدية إلى إيثاره الحياة الدنيا ، وأن عبادة هواه تزيد في تغليظ الإنكار على إيثاره الدار العاجلة ؟ لأن الإيثار قد يقل ويكثر ، ولأن ابن آدم لا بد له أن يتعلق بأشياء من الدار الفانية يستقيم بها أمره ويتصرّم بها وقته كالطعام واللباس وتزويج المرأة وشراء الأمة . وعابد هواه مذموم بكل الألسن ، لأن بعض أوصافه أنه قد ترك عبادة الله . وقد قال القائل :

وعبادة الأهواء[٣] في تطويحها بالدين فوق عبـــادة الأصنام

وهذا أمرٌ لا يُخيل[٤] على ذي لب . وأما الأمر باجتناب الناس

(٢) سورة النازعات : ٣٧ - ٤١ .
(٣) في الأصل (الأصنام) بدلاً من (الأهداء) ، وهو سهو .
(٤) أخالَ الشيءَ : اشتبه . يقال : هذا الأمر لا يُخيل على أحـــد : أي لا يُشكل .

[فقد أُثِرَ عن [٥]] الأنبياء والصالحين مذ خلق الله العالم ، ولا يزالون يأمرون بذلك إلى انقضاء هذا البشر ه . هذا كلام الشيخ أبي العلاء على هذه الأبيات .

١٧٤ — ب

* * *

(٥) مابين القوسين مطموس في الأصل وقُدّر بمقتضى سياق العبارة .

(٧٨)

١ – ياشهبُ إنك في السماء قديمـــة
وأشرتِ للحكماء كلَّ مُشارِ (*)

٢ – أخبرتِ عن موتٍ يكون مُنَجَّماً
أفتُخبرين بحـــادثِ الإنشارِ

كتب تعليقاً على هذين البيتين :

ماخلتُ هذا المتكلّم يفرُق بين الخطأ والصواب ، ولا يميّز الحق لواضح من الأباطيل . وما الذي أنكره من القول للنجوم إنها قديمة ؟ أفما علم أن العرب وغيرهم مجمعون على أن يقولوا : « فلان أقدم من فلان » وإن كان قبله بيوم فما زاد[1] ؟ وقال أبو حيّة النُميريّ[2] :

(★) مطلع قصيدة في لزوم مالا يلزم (١ : ٤١٧)
وحادث الإنشار : البعث .

(١) سبق للمعري أن عرض لمثل هذا التفسير لمعنى القديم في النص (٧١) .
(٢) هو الهيثم بن الربيع ، شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية =

ألا ربّ يومٍ لو رمتني رميتها ولكنّ عهدي بالنضال قديم

أفحسب هذا الضالّ أن النميري يدعي أن عهده بالنضال قديم مثل قِدَم الله تعالت كلمته ؟ وقال ابن أبي ربيعة[3] :

حسدٌ حُمّلتَـــهُ من شانها وقديماً كان في الناس الحسد

أيظن أن الشاعر أراد به القدم الأزليّ ؟ ومشهور في لسان العرب أن يقولوا : امرؤ القيس أقدم من حسان بن ثابت ، وحسّان أقدم من جرير ، وجرير أقدم من الكميت[4] ، وإنما يريدون أنه قبله ، لا أن أحداً منهم يدّعي أن هذا القدم أزليّ ولا يعرف له أول . وقال آخر[5] :

= ترجمته في (الأغاني ١٥ : ٦١) وفي (الشعر والشعراء : ٧٤٩) . وانظر من أجل الاطلاع مصادر ترجمته الأخرى (الأعلام ٩ : ١١٤) . وهذا البيت ورد مع أبيات أخرى من القصيدة دالتها في (الكامل ١ : ١٩) . والحماسة وأمالي المرتضى ١ / ٤٤٧ وأمالي القالي ٢ / ٢٨٤ .
(٣) البيت لعمر بن أبي ربيعة المخزومي شاعر الغزل المشهور في صدر الاسلام . وهو من قصيدة له في ديوانه (٣١٢ - ٣١٣) مطلعها :
ليت هنداً أنجزتنا ماتعدْ وشفتْ أنفسنا مما تجدْ
(٤) أمرؤ القيس جاهـــلي ، وحسان مخضرم . أما جرير والكميت فاسلاميان توفي أولهما سنة ١١٠ هـ والثاني سنة ١٢٦ هـ .
(٥) هذا البيت ، باختلاف في الرواية ، للمجنون في ديوانه (ص : ٣٩) والأغاني (٢ : ٦٢) .

ألا إن حبّي آلَ ليلى قديمٌ وأفضل أهواءِ الرجال قديمها

وقد عُلِم أن الرجل مُحْدَثٌ بعده . والمراد أن الهوى إذا كان في أول العمر فهو أفضل منه في آخره . وفي كلام بعض الروّاد[٦] : « ديمة بعد ديمة ، على عِهادٍ غير قديمة ، تشبع فيها الناب قبل العظيمة[٧] » والعهاد أمطارٌ في إثر أمطار . وأنه يعني بالقديمة غيوثاً قد مضى لها شهر أو أكثر . وقال آخر[٨] :

وكيف أنساك ، لأنعماك سالفة عندي ولا بالذي أوليتَ من قِدم

يعني أن العارفة[٩] إذا مضت لها سنة أو أكثر فهي قديمة . ومثل هذا أبين من أن يُقام الإشهادُ عليه . وقال زهير[١٠] :

لمن طلل برامة لا يريم عفا وخلا له حُقُبٌ قديم

(٦) الرواد : جمع رائد وهو الذي يرسله قومه في التماس الكلأ .

(٧) الديمة : المطر الدائم في سكون ، أي ليس فيه رعد ولا برق . والعهاد : جمع عهد ، وهو المطر بعد المطر يدرك آخره بَلَلَ أوّله . والناب : الناقة المسنّة .

(٨) البيت دون نسبة في مجموعة المعاني ، ص : ٩٧ ، وفيه : « . . . لا نعماك واحدة » .

(٩) العارفة المعروف .

(١٠) هو زهير بن أبي سلمى الشاعر الجاهلي المعروف . والبيت مطلع قصيدة في ديوانه (٢٠٦ - ٢١٣) قالها في مدح هرم بن سنان .

« وأشرت للحكماء كلّ مشار » : أي دللت على الخالق سبحانه وبمن استدلّ بها إبراهيم صلى الله عليه . وفي الكتاب العزيز ﴿ وكذلك نُري إبراهيم ملكوتَ السموات والأرض وليكون من الموقنين . فلما جَنَّ عليه الليلُ رأى كوكباً قال : هذا ربّي ، فلما أَفل قال : لا أحب الآفلين[١١] ﴾ وكذلك قوله تعالى : ﴿ فنظر نظرة في النجوم[١٢] ﴾ . وقال : ﴿ وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البرّ والبحر[١٣] ﴾ .

وذُكر بعد هذا البيت ما هو إنكار على المنجمين من أنهم يدّعون أن النجوم تدلّ على حين موت الرجل ، وكم يُعمّر : أخمسين سنة أم أكثر أم أقلّ ؟ وقد خبّر بأخبارها المنجم الذي يحدّث بأحكامها وينظر في مجاريها ومنازلها .

وقد مرّ القول بأن الكلام يخرج على معنى العكس والاستهزاء . وشائع أن يقال للرجل إذا كذب : « إنك لصادق اللهجة ! » . أي بالعكس من ذلك . وبعض المتخاصمين إذا قيل له : « يا حرّ ! »

(١١) سورة الأنعام : ٧٥ - ٧٦

(١٢) سورة الصافات : ٨٨

(١٣) سورة الأنعام : ٩٧

أو « ياعفيف ! » اشتدّ من ذلك غيظه وغضبه لأنه يعلم بهزء القائل .

وقوله : « أفتخبرين بحادث الإنشارِ ؟ » أي أنكر عليها أن تقدر على ذلك وأنكر على المنجّم أن يدّعي ذلك كما ادّعاه في الحياة الدنيا . وهذا مما يدخل في قوله تعالى ﴿ يسألك الناس عن الساعة ، قل إنما علمها عند الله ، وما يدريك لعلّ الساعة تكون قريباً[١٤] ﴾ ومن هذا النوع أن يسأل الرجل غيره حاجة لايطيق قضاءَها فيقول المسؤول للسائل : « أتقدر أن تصعد إلى السماء ؟ » أي حاجتك متعذّرة عليّ كتعذّر الصعود إلى السماء ه .

هذا كلام الشيخ .

١٧٤ — ب

* * *

(١٤) سورة الأحزاب : ٦٣

والناس في ضِدّ الهدى مُتَشَيِّعٌ لَزِمَ الغُلُوَّ وناصِبيٌّ شارِ (*)

قال أبو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في هذا البيت :

قد تكرّر القول في تخصيص الأخبار والحذف منها . ومعنى هذا البيت مُتناقل في الأحاديث . من ذلك أن النبي ﷺ قال لعليّ عليه السلام : « يدخل فيك النار رجلان ، محبّ مفرط ومبغض مفرّط » . وقد تبيّن قول النبي ﷺ في زمان عليّ ، واشتهر أنه أحرق عبد الله بن سبأ لزعمه أنه إله[١] . فما الذي ينكر من هذا القول ؟ أليس الشراة من الخوارج يقول فيهم أهل الشرع ما هو مشهور معلوم ؟ وجاء في الحديث أن الخوارج « كلاب أهلِ النار » ه .

١٧٤ — ب

(★) هذا البيت من القصيدة آنفة الذكر ومعنى البيت أن غلاة الشيعة الذين يفرطون في تقديس علي عليه السلام وشراة الخوارج الذين يغلون في بغضه كلا الفريقين قد ضلّ طريق الهدى .

(١) عبد الله بن سبأ ، فيما قيل ، رأس الطائفة السبئية التي كانت تقول بألوهية علي ، وأنه كان يهودياً وأظهر الاسلام ، وأن أصله من اليمن . وقيل إن علياً حرّقه بالنار (الأعلام ٤ : ٢٢٠).

(٢) هذه الكلمة سقطت من النص وسياق العبارة يقتضي وجودها .

(٨٠)

ولكلّ ما أصبحت تدرك حسّه ضدٌّ وكِبرةُ من ترى كصَغارِ (*)
شِيَعٌ أُجلّت يومَ خُمّ فأنبرتْ أخرى تُعارضها بعيد الغارِ

قال ابو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في البيت الثاني :

ادّعى المموّه أنّ هذا البيت استخفاف بالشيعة وغيرهم . أفما يعلم السامعون فسادَ هذا القول وأنّ البيت مقصور على ذكر اختلاف العالم لاغير ؟ فأيّ شيء تعلّق به حتى زعم أن ذلك من التهاون ؟ ولو قال قائل : عيد المسلمين يوم الجمعة وعيد اليهود يوم السبت لم يكن علم ذلك يُردّ إلى غير الاختلاف . وكذلك البيت المتقدّم

(★) من مقطوعة في لزوم مالا يلزم (١ : ٤٢٢) مطلعها :
الوغد يجعل ما أنيل غنيمةً ويُغير في الأطماع كلّ مُغارِ

ويوم خمّ : هو يوم غدير خم - بين مكة والمدينة - ويروون أن النبي ﷺ قال ذلك اليوم في علي رضي الله عنه : من كنتُ مولاه فعلي مولاه .
ويوم الغار : أي غار ثور الذي لجأ إليه النبي ﷺ مع صاحبه أبي بكر رضي الله عنه خلال هجرتهما إلى المدينة .

براء مما ادّعاه ، خالٍ من كل ما نُسب إليه ، وإنما هو بيان للبيت قبله وهو :

ولكلّ ما أصبحت . . . . . البيت .

ومن الذي يجهل أنّ المتشيّعة تجلّ يوم خُمّ ، وأن غيرهم قد عارضهم بعيدٍ سماه بعيد الغار ؟ وليس في هذا الكلام إزراء بإحدى الطائفتين . هذا كلام الشيخ .

* * *

(٨١ – ٨٣)

١ ــ زوجة إبراهيم سارَتْ إلى مقام إبراهيم في نذرها (*)
٢ – عصته في ذاك ولم تعتذر وجرُمها أيسرُ من عُذرها
٣ – تهذُرُ في النسك وأوصافِهِ وصمتها أبلغ من هَذْرِها
٤ ــ لعلَّ خيراً منكِ في دينها آخذة الدينار في جذْرِها

(٨١)

قال أبو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في البيت الأول :

ادَّعى المُمَوِّه أنّ زوجة إبراهيم مَعْنِيٌّ بها زوجة إبراهيم الخليل

(*) من مقطوعة في لزوم مالا يلزم (١ : ٤٢٥) مطلعها :

ما راعت البُرْدةُ في بذرِها فتهتِهِ الأدمعَ أو أذْرِها

وآخذة الدينار في جذرها : يعني المغنّية . وجذر المغني أو المغنية أجرهما ، وهو دخيل . ولم يرد هذا المعنى في المعاجم ، ولكن ذكره الثعالبي في فقه اللغة (الباب الثلاثون – فصل في تفصيل أسماء الأجر) . كما نشر الأستاذ محب الدين الخطيب مقالاً في مجلة الزهراء (المجلدة ١٨٧ / ١٨٩) أشار فيه إلى عدة مواضع من كتب الأدب وردت فيها لفظة الجذر بهذا المعنى .

صلى الله عليه وعلى أزواجه . فأما العالم الذين يسمعون كلام هذا الإنسان ثمّ لاينكرون عليه فمؤلف (لزوم مـــالا يلزم) بينهم غريب مُطَّرَح قد يئس النُصرة ، فوجب أن يتمثّل بقول الأعشى[1] :

ومن يغترب عن قومه لايزل يرى مصارعَ مظلومٍ مَجَرّاً ومسحبا
وتُدفَن منه الصالحات ، وإنْ يسِيءْ يكن ماأساء النارَ في رأس كبكبا
وربَّ بقيعٍ لو هتفت بأرضه أتاني كريم ينفض الرأسَ مُغضَبا

هيهات ! أين ذلك البقيع ؟ بَعُـــدَ والله طلبُهُ ومات أهله !

فرحم الله ابنَ مناذرٍ[2] حيث يقول :

(١) الأبيات الأعشى الكبير من قصيدة له في ديوانه (١١٣ – ١١٧) مطلعها :

كفى بالذي تولينه لو تجنّبـا شفاءً لسقمٍ بعد ما عاد أشيبا

ومجرّاً ومسحباً : مصدر ميمي من جر وسحب . وكبكب : اسم جبل والبقيـع : الموضـــع فيـه شجر من ضروب شتى ، وهتفت بأرضه : أي صرخت مستنجداً .

(٢) هو محمد بن مُناذر ، من شعراء القرن الثاني . توفي نحو سنة ١٩٨ هـ في خلافة المأمون . ترجمتـه في (الشعر والشعراء ٢ : ٨٤٥ – ٨٤٧) و (الأغاني ١٧ : ٩ – ٣٠) و (الارشاد ١٩ : ٥٥ – ٦٠) . وهـذا البيت من قصيدته في رثاء عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي ومطلعها :

كلّ حي لاقى الحمام فمودي مالحيّ مؤمّلٍ من خلودِ

وقد أورد المبرّد في (الكامل ٢ : ٢٨٨ – ٢٩٠) جزءاً كبيراً من هـــذه القصيدة .

ثمّ خُلِّفْتُ في هَباءٍ من النا س أقاسيهِمْ ودهرٍ كَنودِ

ولكنّه ينتظر النصرةَ من الله سبحانه بالوعد السابق في الآية ﴿ ثمّ بُغِي عليه لينصرنه الله[٣] ﴾ .

مَثَلُ من يتأوّل هذا التأويل مَثَلُ من يعتقد في بيت أبي الطيّب[٤] :

فإن تلق ابنَ إبراهيمَ عَنْسي وفيها قوتُ يومٍ للقُرادِ

أنه أراد اسماعيل بن إبراهيم أو اسحاق عليهما السلام . وأن قوله : « هارون » في قوله[٥] :

لم تُسَمَ يا هارون إلاّ بعدما اق ترَعتْ ونازعتِ اسمَكَ الأسماءُ

معنيٌّ به هارون أخو موسى عليهما السلام . والمعنى أنّ امرأةً مذمومة لها زوج يُعرف بإبراهيم - ولعلّ في هذا العالَم من هذه

(٣) سورة الحجّ : ٦٠

(٤) من قصيدة المتنبي في مدح علي بن ابراهيم التنوخي (الديوان ١ : ٢٢٤ - ٢٣٢) ومطلعها :

أحادٌ أم سُداس في أحادِ لُيلتنا المنوطة بالتنادي

(٥) من قصيدة المتنبي في مدح أبي علي هارون بن عبد العزيز الأوراجي الكاتب (الديوان ١ : ٩ - ٢١) ومطلعها :

أمِنْ ازديارك في الدجى الرقباءُ إذ حيثُ أنت من الظلام ضياءُ

صفة حالها لا يُحصيهنّ إلاّ الله تعالى تسير إلى مَقام إبراهيم صلى الله عليه لِتَوفِيَة نذرٍ وهي خبيثة النية . وفي الحديث : « لانذر في معصية » [فإن][٦] فعلت المرأة هذه الأشياء تَوَصُّلاً إلى المعصية وخروجاً عن الطاعة فجائز أن تفضلها مغنّية تأخذ الجذور . وفي الكلام « لعلّ » ، فدلّ ذلك على أنه غيرُ بتٍّ في الحكم ، وإنما امرأة ابراهيم هاهنا امرأة رجلٍ جُعل اسمه كناية عن جميع الناس ، تقول : « فلان يعطي ماله » وليس المقصود به رجلاً [بعينه] ، ولو جُعل مكان هذه][٧] اللفظة غيرُها لاستقام المعنى ، [مثل][٨] أن يقال ، زوجة اسماعيل ، أو زوجة شاشنكيرُ أو فُنّاخسْرَ أو ما قام مقام ابراهيمَ من الأسماء . وإنما ذكر هذا الاسم في هذا الموضع ليكون مجانساً لإبراهيم عليه السلام ه .

هذا كلام الشيخ .

(٦) و (٧) و (٨) مابين القوسين مطموس في الأصل ، وقُدِّر بمقتضى سياق العبارة .

(٨٢)

وقال تعليقاً على البيت الثاني :

أي عصت هذه المرأة زوجها في السير إلى مقام إبراهيم صلى الله عليه واحتالت بالرحيل لتجعله سبباً إلى أمرٍ ليس بجميل . ولو اعتذرت لكان اعتذارها أكثر من جرمها لأنه كذب وتخرّص ه.

هذا كلام الشيخ .

١٧٩ — آ

(٨٣)

وقال تعليقاً على البيت الثالث :

أي أنها منتسبة إلى الصوفية ، وأنها تعظ النساء وغرضها المكسب ، وأحلفُ ما صدرت هذه الظِنّة عن صدر رجل سمع بالفهم ولا حُسِب قطّ من أهل العلم . فإنّا لله وإنا إليه راجعون ، لقد صح قول الرسول ﷺ : « إنّ الله لايقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور الناس ، ولكنّه يقبض العلم بموت العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناسُ رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلّوا وأضلّوا » ه . هذا كلام الشيخ من الزجر .

١٧٩ — آ

(٨٤ — ٨٦)

١ — اختلاف قد عمّنا في اعتقادٍ وصلاةٍ لربنا وطهورِ (*)
٢ — ونساءٍ مهورة في البرايا وسبايا سيقت بغير مُهورِ
٣ — ورأيت الحِمام يأتي على العا لَم من قاهرٍ ومن مقهورِ
٤ — وادّعوا للمعمّرين أموراً لست أدري ماهنّ في المشهورِ
٥ — أُتراهمْ فيما تقضّى من الأيّـ ـامِ عَدّوا سنيهم بالشهورِ
٦ — كلّما لاح للعيون هِلالٌ كان حولاً لديهم في الدهورِ

(٨٤)

قال أبو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في هذين البيتين :

قد تقدّمت الإبانة عن مثل هذا الغرض ، وأن المقصد تعجّبٌ من تنافر الأمم ، من الذي هو منزّل في الكتاب الكريم ، لقوله تعالى : ﴿ ولا يزالون مختلفين إلا من رحمَ ربُّك (١) ﴾ . فما الذي يُعاب من هذا البيت ؟ أليس في العالم نساء مهورة ونساء يُسبَيْن لامُهورَ لهنّ ؟ والسبي في الجاهلية كان بين قبائل العرب ، ثم دفعه الإسلام إلاّ عمن خالف ودُعيَ فأبى أن يُجيب ه .

هذا كلام الشيخ .

(*) لزوم مالا يلزم (١ : ٤٢٧)
(١) سورة هود : ١١٨

(٨٥)

قال ابو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في البيت الثالث :

قد أتى في المعمّرين قولُ كافٍ [٢] . [فما] [٣] كان متعلقاً بالكتاب الكريم من ذلك أو منقولاً عن النبي ﷺ فهو مقابل بالتسليم ، وما كان من ادّعاء الهمج والطغام لم يُلتفت إليه . وحدّث رجل هو ثقة في هذا الحديث أنه كان بالدِّينَوَر [٤] رجل يفتل الحبال يدّعي أنه لَقِيَ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، والرجل باقٍ في هذا الوقت ، وأنّ بعض الملوك قدم تلك الناحية فحمل ذلك الإنسان معه إلى مقرّ ملكه . وأشباه لهذا كثيرٌ لاتصغي إليها أذنٌ عاقل ه . هذا كلام الشيخ .

(٨٦)

قال ابو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في هذين البيتين :

قد رووا أشياء مستنكرة لا تتعلق بالكتاب ولا السنة ، منها ذكرهم فيما جُمع من أخبار المعمّرين أن لقمان بن عاد [٥] عاش

(٢) انظر النص (٧٥) فقد سبق لأبي العلاء أن عرض فيه لهذا الموضوع .
(٣) في الأصل (وإن) ، وسياق الكلام يقتضي (فما) .
(٤) الدينور بكسر الدال وفتح النون والواو ـ : بلدة فارسية .
(٥) لقمان بن عاد كان ـ فيما يروى ـ في وفد عاد الى مكة مع قيل بن =

ثلاثة آلاف وخمس مئة سنة . ولقد ذكر هذا الحديث عند بعض رؤساء المسلمين فقال : لايجوز أن يبقى هذه المدّة جسم ! وهذا الحديث موضوع على إفك ، لأن الذي ذهب إلى أن لقمان عمّر هذه السنين يرجع إلى أنه أعطي عمر سبعة أنسر ، وأن كل نسر عاش خمس مئة سنة . وهذا لايثبُت عمّن يوثق به وإنما هو من أحاديث الأعراب الذين يحدّثون بمالا يوجد ولا يمكن أن يكون . ومن أين صَحّ للمخبر أنّ النسر يعيش خمس مئة سنة ؟ ولو ثبت ذلك لجاز أن يدركه الموت قبل أن يبلغ هذه الغاية من العمر . وإنما هذه الأشياء تكثر من أصحاب الأخبار . يزعمون أن وفد عادٍ شغلوا عند رجل من جرهم يشربون وتغنيهم الجرادتان ـ وهما مغنّيتان كانتا في ذلك العصر ـ فأقاموا أياماً ثم جاءوا الى

= عتر . وكانت عاد تعاني من قحط شديد . فذهب هذا الوفد إلى مكة يستسقي لعاد عند الكعبة ، وسيد مكة آنئذ معاوية بن بكر الجرهمي أحد العمليق فأقام وفد عاد لديه مكرمين لاهين يشربون وتغنيهم الجرادتان وهما قينتان للجرهمي سيد مكة ـ فشغلوا عن الطواف بالبيت وسؤال الله فيما قصدوا له فهلكت عاد . (انظر مجمع الأمثال للميداني ١ : ١٣١ ، وكتاب الفاخر للمفضل بن سلمة ص ٦٧) . وقد أشار المعري إلى هذه القصة في (رسالة الغفران ص ١٣٨ ـ ١٣٩) .

الكعبة فسألوا الله القطرَ لأنه كان [..........] (٦) ، وكان فيهم لقمان بن عاد وقَيْلُ بنُ عتر . فلما كانوا في الطريق وهم راجعون إلى قومهم رُفعت لهم غمامة سوداء وناداهم منادٍ : إن قومكم عاداً أهلكها الله ، فليذكر كل رجلٍ منكم بُغيته . فاختار قَيْل بن عتر أن يلحق بقومه فأخذته ريح الصرّ حتى هلك . وقال لقمان : أسأل ضِرساً طحوناً ، ومعدة هضوماً ، ودُبراً نثوراً . فقيل له : هذا خلود الأبد فاسأل غير ذلك . وقيل إنه نودي لما سأل ما سأل أن لاسبيل إلى ما طلبت ، ولكن أختر إمّا عمر سبعة [أنسر أو سبع بعرات سُمْر] (٧) فاختار عمر الأنسر . وهذا حديث لم يرد عمّن يجب أنْ يُنقادَ إليه ه . هــذا كلام الشيخ أبي العلاء

آ — ١٨٠

(٦) العبارة مطموسة في الأصل . وفي الخبر أن عاداً لما كذبوا هوداً عليه السلام ، توالت عليهم ثلاث سنوات لم يروا فيها مطراً ، فبعثوا من قومهم وفداً إلى مكة ليستسقوا لهم ...)

(٧) مابين القوسين مطموس في الأصل ، وقدر بالرجوع إلى مجمع الأمثال للميداني (١ : ٤٢٩ - ٤٣٠) حيث جاء في شرح المثل (طال الأبد على لُبَد) مانصّه : « والعرب تزعم أن لقمان خُيِّرَ بين بقاء سبع بعرات سمر ، من أظب عُفْر ، في جبل وعر ، لايمسها القطر ، وبين بقاء سبعة أنسر ، كلما هلك نسر خلف بعده نسر ، فاستحقر الأبعار واختار النسور ... الخ » .

(٨٧ — ٨٩)

١ — حَرّقَ الهندُ من يموتُ فما زا م روه في رَوْحةٍ ولا تبكير (★)

٢ — واستراحوا من ضغطة القبر ميتاً وسؤالٍ من منكرٍ ونكير

٣ — لاذكورٌ ولا إناث من العا لم تُهدى للرشد بالتذكير

(٨٧)

قال أبو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في البيت الأول :

إنما ذَكَر هذه الأشياء صفةً لما العالم عليه وهو [ما] (١) يُتحدث به في آفاق البلاد . وحدّث بعض المسافرين إلى الهند أن الرجل منهم إذا أراد النهاية في التعبّد أوقدت لهم نار عظيمــة ، ومن شانهم أن يطوّلوا شُعورهم ، فإذا أراد المريد أن يقذف نفسه في النــار حَلَقَ وسط رأسه وجعل فيه السندروس وأرسل فيه

(★) من مقطوعة في لزوم مالا يلزم (١ - ٤٢٨) مطلعها :

فكِّروا في الأمور يكشفْ لكم بعـ ض الذي تجهلون بالتفكير

(١) مابين القوسين مطموس في الأصل وقدّر بمقتضى سياق العبارة .

النار ، وأقبل يسير إليها مسير مظهرٍ للفرح جذلان بما يتوقّع ، إلى أن يطرح نفسه فيها . وحوالي تلك النار قوم بأيديهم عِصيٌّ ، فإن همّ أن يخرج إذا وجد حرارة النار دفعوه بتلك العصيّ . فإذا صار رماداً حملوه فذروه في البحر . وإن وصل إلى شيء من ذلك الرماد إنسان منهم كان يُتبرّك به طول عمره . ويظهرون أن الذي يحملهم على ذلك ، الخوف من عقوبة الله سبحانه . وقد جاء في الحديث أن رجلاً أوصى بنيه فقال : « إذا أنا متُّ فحرّقوني بالنار ، حتى إذا صرتُ حُمَماً فدقّوني ثم ذرّوني في الرياح لعليّ أضلّ الله » . فيَغفِرَ له بهذه النية . وحدّث بعض الفقهاء الذين كانوا بخراسان ان محموداً [٣] كان لديه جماعة من الهنـــد يقرّبهم ويحسن إليهم ويتصوّر أنهم أهـــل دينٍ ووفاء . فإذا نزل جعلهم أقرب جنوده إليه . وكان في ذلك البلد رجل من أولئك القوم . فسيّره محمود في بعض الوجوه . فجاء خبره أنه قد مات أو قتل . وكانت له امرأة هندية . فقالت : لا أعيش بعده . وجُمع لها حطب كثير ، وأوقدت نار عظيمة وحرّقت نفسها في تلك النار . فلم تمض إلاّ

(٣) هو السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي فاتح الهنـد ، توفي سنة ٤٢١ هـ في عاصمة بلاده (غزنة) وفيها قبره (الأعلام ٨ : ٤٧ - ٤٨) .

مدة يسيرة حتى قدم زوجها الذي ذُكر أنه قد هلك . فلمّا خُبّر بخبرها قال : أريد أن أحرّق نفسي كما صنعت امرأتي . فأوقدت له نار مضطرمة ، واجتمع إليه مَن في تلك الناحية من الهند . وحضر كثير من المسلمين ليشاهدوا ذلك الأمر . فحدّث الفقيه الذي أخبر بهذه القصة أنه حضره فرأى رجال الهند يجيء أحدهم إلى ذلك الرجل فيوصيه بوصية إلى أخيه أو ابنه ، حتى جاء رجل ومعه وردة فقال : أعطِ هذه فلاناً وقل له أنفذها إليك فلان . ثم إنّ ذلك الرجل حُرّق وتفرّق الناس .

وإنما نُظِم هذا المعنى ليعتبر به المعتبر ويعلم ما فضّل الله به أهل الإسلام .

فأما تحريق الهند الميت إذا مات حتف أنفه فمشهور بين الناس والتجار الذين يبلغون بلاد الهند ، يحملون إليهم اللُبانَ فيغالون فيه لأنهم يطرحونه مع الميت في النار . ويقال إن الملك منهم يدّخر لنفسه منه [مقادير] [٤] كبيرة ليتبيّن شرَفُهُ على غيره من الصعاليك الذين لايقدرون منه إلاّ على القليل هـ . هذا كلام الشيخ .

(٤) مابين القوسين مطموس في الأصل ، وقدر بمقتضى سياق العبارة .

(٨٨)

قال أبو العلاء تعليقاً على البيت الثاني :

هذا البيت يشتمل على صنوف من التصديق : منها إثبات مُنكرٍ ونكير ، وذكر ضغطة القبر التي جاءت في أحاديث كثيرة ، منها أن النبي ﷺ لما توفيت [فاطمة بنت أسد][٥] بن هاشم أم علي ابن أبي طالب عليه السلام دخل قبرها عرياناً وتمرغ فيه وقال : « أردت أن تسلم من ضغطة القبر » وفي حديث آخر : « لو سلم أحد من ضغطة القبر لسلم سعد بن معاذ » . وفي حديث أبي سعيد الخدري ، « لو سمع أحدكم ضغطة القبر لجزع وخرَع » . أي : ضعف ، ومنها اشتقاق الخروع من النبت . ومنها أن الهند يرجّون بهذه الشيمة الخلاص من ضغطة القبر » [ومن سؤال منكر][٦] ونكير ، فيجوز أن يُعفوا من ذلك لأجل مافعلوه بأنفسهم . ويحتمل هذا الكلام أن يُحمل على العكس فيكون خارجاً مخرج الهزء . كما يقول القائل : باع فلان عَقاره واستراح ! وإنما يريد

(٥) مابين القوسين مطموس في الأصل . ومعروف أن أم علي رضي الله عنه هي فاطمة بنت أسد بن هاشم . انظر ترجمتها في طبقات ابن سعد (طبعة بيروت ٨ / ١٦٠) .

(٦) مابين القوسين مطموس في الأصل ، وقدر بمقتضى سياق العبارة .

عكس ماظهر من اللفظ ، لأن الله سبحانه [قادر أن][٧] يبعث إلى من حُرّق وذُرّي في البحر مُنكراً ونكيراً فيسألانه مسألة من وُضع في اللحد الضيّق ه . هذا كلام الشيخ .

(٨٩)

قال أبو العلاء في الردّ على من اعترض عليه في البيت الثالث :

هذا معنى لاينكره سامع له لبّ . وإنما هو تعجّب من غفلة المخلوقين . والتذكير يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون تذكير النبي صلى الله [عليه لقوله تعالى : ﴿ فذكر إن][٨] نفعت الذكرى[٩] ﴾ ، وقوله : ﴿ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين[١٠] ﴾ . فهذا تذكير قد سلف من النبي ﷺ فسعد به قوم وشقي آخرون . فأما اليوم فالذين ينتبهون له قليل . والآخر من صِنْفَيْ التذكير مايذكّر به الواعظون في هذا الزمان ، وهو المقصود في هذا البيت ،

(٧) و (٨) مابين القوسين مطموس في الأصل ، وقدر بمقتضى سياق العبارة .

(٩) سورة الأعلى : ٩

(١٠) سورة الذاريات : ٥٥

وهو خارج على الاختصار والتبعيض ، كما تقول : ليس في هذا البلد قائل بالحق ، أي كثير من أهله لايرجعون إلى ذلك . ويقول القائل : لم يبق رجل إلاّ قد اشترى له ثوباً ، أي قد كثر شراء الثياب في الناس ه . هذا كلام الشيخ .

١٨١ — آ

* * *

مراجع التحقيق

(مرتبة على الحروف الهجائية)

الإرشاد — إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، المعروف بمعجم الأدباء ، لياقوت الرومي (دار المأمون بالقاهرة ١٣٤٧ ه و ١٩٢٩) م .

أسباب النزول — للامام الواحدي (مطبعة هندية بالقاهرة ١٣١٥ ه) .

أسباب النزول — لباب النقول في أسباب النزول للامام السيوطي ، على هامش طبعة القرآن الكريم المرفقة بتفسير الجلالين (المكتبة الهاشمية بدمشق ١٣٧٨ ه) .

الإصابة — الإصابة في تمييز أسماء الصحابة للحافظ ابن حجر العسقلاني (المكتبة التجارية بالقاهرة ١٣٥٨ ه) .

الأعلام — لخير الدين الزركلي ، الطبعة الثانية ، ١٠ أجزاء (القاهرة ١٣٧٣ — ١٣٧٨ ه و ١٩٥٤ م — ١٩٥٩ م) .

الأغاني — لأبي الفرج الأصفهاني ، طبعة الحاج محمد السامي ٢١ جزءاً (مطبعة التقدم بالقاهرة ١٣٢٣ ه) .

الأمالي — لأبي علي القالي البغدادي (دار الكتب المصرية ١٩٢٦ م) .

الأمالي — للشريف المرتضى ، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٩٥٤ م) .

الإنصاف والتحري — الانصاف والتحرّي في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء

المعرّي ، لكمال الدين ابن العديم . نشر في سلسلة (آثار أبي العلاء المعري — السفر الأول ، تعريف القدماء بأبي العلاء من ص ٤٨٣ إلى ص ٥٧٨) حققته لجنة باشراف الدكتور طه حسين (دار الكتب المصرية ١٣٦٣ هـ و ١٩٤٤ م) .

الانصاف — الانصاف في مسائل الخلاف للأنباري (مطبعة بريل بمدينة ليدن ١٩١٣ م) .

أوج التحري — أوج التحرّي عن حيثية أبي العلاء المعرّي ، ليوسف البديعي . (سلسلة منشورات المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية بدمشق ١٩٤٤ م) بتحقيق الدكتور إبراهيم الكيلاني .

بروكلمان — تاريخ الأدب العربي (بالألمانية) لكارل بروكلمان ، جزآن وثلاثة ملاحق ، الطبعة الثانية (ليدن ١٩٤٣ — ١٩٤٩ م) .

بغية الوعاة — بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي (مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٢٦ هـ) .

تاريخ الأدب العربي لبروكلمان — انظر : بروكلمان .

تاريخ بغداد — للخطيب البغدادي (مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٤٩ هـ و ١٩٣١ م) .

تاريخ الطبري — تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر الطبري ، ٨ أجزاء ، (مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٥٧ هـ و ١٩٣٩ م) .

تعريف القدماء بأبي العلاء — آثار أبي العلاء ، السفر الأول : تعريف القدماء بأبي العلاء ، قامت بتحقيقه لجنة باشراف الدكتور طه حسين (دار الكتب المصرية ١٣٦٣ هـ و ١٩٤٤ م) .

تفسير الطبري — جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جعفر الطبري .

ثمار القلوب — ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، لأبي منصور الثعالبي (مطبعة الظاهر بالقاهرة ١٣٢٦ هـ و ١٩٠٨ م) .

جمهرة أشعار العرب — لأبي زيد القرشي (المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ١٣٤٥ هـ و ١٩٢٦ م) .

الحماسة — لهبة الله بن علي الحسني المعروف بابن الشجري ، (حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٤٥ هـ و ١٩٢٧ م) بتحقيق المستشرق كرنكو .

الحيوان — للجاحظ ، ٧ أجزاء (مطبعة البابي بالقاهرة ١٣٥٦هـ و ١٩٣٨ م) بتحقيق عبد السلام هارون .

ديوان ابن المعتز — بتحقيق محي الدين الخياط (مطبعة الإقبال في بيروت ١٣٣١ هـ)

ديوان أبي تمام — شرح الخطيب التبريزي وتحقيق محمد عبده عزام (دار المعارف بالقاهرة ١٩٥١ م) . ظهرت منه ٣ أجزاء تحتوي على شعر المدح .

ديوان الأعشى — شرح وتحقيق الدكتور م . محمد حسين (مكتبة الآداب بالقاهرة ١٩٥٠ م) .

ديوان امرىء القيس — شرح حسن السندوبي ، الطبعة الثانية (مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٥٨ هـ و ١٩٣٩ م) .

ديوان البحتري — (مطبعة الجوائب ١٣٠٠ هـ) .

ديوان جرير — شرح محمد اسماعيل الصاوي (مطبعة الصاوي بالقاهرة ١٣٥٣ هـ)

ديوان زهير — شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، صنعة أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب (دار الكتب المصرية ١٣٦٣ و ١٩٤٤ م) .

ديوان طرفة بن العبد — رواية ابن السكيت (طبع بمدينة قازان بروسيا ١٩٠٩) .

ديوان عمر بن أبي ربيعة — بتحقيق محي الدين عبد الحميد (المكتبة التجارية بالقاهرة) .

ديوان القطامي — بتحقيق المستشرق ج . بارث (مطبعة بريل بمدينة ليدن ١٩٠٢ م) .

ديوان قيس بن الخطيم — بتحقيق المستشرق كوالسكي (ليبزج بألمانيا ١٩١٤ م) .

ديوان كثير عزة — جزآن بتحقيق المستشرق هنري بيريس (مطبعة جول كاربونل بمدينة الجزائر ١٩٢٨ — ١٩٣٠ م) .

ديوان المتنبي — شرح عبد الرحمن البرقوقي (المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ١٣٤٨ هـ و ١٩٣٠ م) .

ديوان مجنون ليلى — (مطبعة بولاق بالقاهرة ١٢٩٤ هـ) .

ديوان النابغة الذبياني — في مجموع خمسة دواوين العرب (بيروت ١٣٢٧ هـ) .

ديوان الوليد بن يزيد — بتحقيق المستشرق جبريالي (سلسلة منشورات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٣٧ م) .

رسالة الغفران — لأبي العلاء المعري ، تحقيق الدكتورة بنت الشاطىء (دار المعارف بالقاهرة ١٩٥٠ م) .

رغبة الآمل — رغبة الآمل من كتاب الكامل ، للسيد المرصفي ، ٨ أجزاء (مطبعة النهضة بمصر ١٣٤٦ — ١٣٤٨ هـ) .

الروح — كتاب الروح لابن قيّم الجوزية ، الطبعة الثانية (حيدر آباد الدكن في الهند ١٣٢٤ هـ) .

زبدة الحلب — زبدة الحلب من تاريخ حلب ، لكمال الدين ابن العديم ، بتحقيق الدكتور سامي الدهان ، جزآن (سلسلة منشورات المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية بدمشق ١٩٥١ — ١٩٥٤ م) .

سيرة ابن هشام — السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام ، بتحقيق مصطفى السقا وزميليه ، الطبعة الثانية (مطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة ١٣٧٥ هـ و ١٩٥٥ م) .

شعراء النصرانية — الأب لويس شيخو اليسوعي (الطبعة الكاثوليكية في بيروت ١٩٢٦ م) .

الشعر والشعراء — لابن قتيبة ، بتحقيق أحمد محمد شاكر ، جزآن (دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٣٦٤ — ١٣٦٩ هـ) .

صحيح البخاري — (مطابع الشعب بالقاهرة ١٣٧٨ هـ) .

طبقات ابن سعد — طبقات الصحابة — أو الطبقات الكبرى — لمحمد بن سعد (بيروت ١٩٥٧ م) .

طبقات الشعراء — لابن المعتز ، بتحقيق عبد الستار أحمد فرّاج (دار المعارف بالقاهرة ١٩٥٧ م) .

العمدة — العمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق القيرواني ، بتحقيق محي الدين عبد الحميد (المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ١٣٥٣ هـ و ١٩٣٤ م) .

الفاخر — للمفضل بن سلمة الكوفي ، بتحقيق المستشرق ش . ستوري (مطبعة بريل بمدينة ليدن ١٩١٥ م) .

فقه اللغة — فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي (المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ١٣٥٤ هـ و ١٩٣٦ م) .

فهرس مخطوطات المتحف البريطاني —

الكامل — الكامل في اللغة والأدب للمبرّد (المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ١٣٥٥ هـ) .

لزوم ما لا يلزم — لأبي العلاء المعرّي ، بتحقيق أمين عبد العزيز الطبعة الثانية (المطبعة الخالية بالقاهرة ١٣٣٣ هـ و ١٩١٥ م) .

مجلة الزهراء — لمحب الدين الخطيب ، القاهرة

مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق .

مجمع الأمثال — لأبي الفضل الميداني ، جزآن ، بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الثانية (المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ١٩٥٩ م) .

مجموعة المعاني — (مطبعة الجوائب بالقسطنطينية ١٣٠١ هـ) .

معجم الأدباء — انظر : الإرشاد .

معجم ألفاظ القرآن — لمحمد فؤاد عبد الباقي (مطابع الشعب بالقاهرة ١٣٧٨ هـ) .

المفضليات — للمفضّل الضبيّ ، بتحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون (دار المعارف بالقاهرة ١٣٦١ هـ) .

الميسر والقداح — لابن قتيبة ، بتحقيق محب الدين الخطيب (المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٤٣ هـ) .

نشوة الارتياح — نشوة الارتياح في بيان حقيقة الميسر والقداح ، للمرتضى

الزبيدي ، نشر في الجزء الاول من مجموعة (طرف عربية) بتحقيق المستشرق لاندبرغ (مطبعة بريل بمدينة ليدن ١٣٠٣ هـ و ١٨٨٦ م) .

الورقة — كتاب الورقة لمحمد بن داود بن الجرّاح ، (دار المعارف بالقاهرة ١٣٥٣) .

* * *

المعاجم

أساس البلاغة	للزمخشري
القاموس المحيط	للفيروزآبادي
لسان العرب	لابن منظور
المصباح المنير	للفيُّومي
مقاييس اللغة	لابن فارس
النهاية في غريب الحديث	لابن الأثير

فهرس قوافي أبيات (لزوم ما لا يلزم)

	الصفحة
(أ)	
للمخدرات إباء	٣
إلا معشر أدباء	٤
في العلا غرباء	٦
الليوث اباء	.
في الرجال غباء	.
إذ وشي الملوك عباء	.
ما كان يسبى ويسبا	٧
او تقيا ينبـأ	.
ان مصلياك اتقيـاء	٨
لله اوليـاء	.
وليس بهم رياء	١١
لها الدليل ولا ضياء	.
منك فتك واتقاء	١٢
بالمـاء السقاء	.
مكر من القدماء	١٤
وبادت سنة اللؤماء	.
في الأيام غير ذماء	١٥
من كاذب الزعماء	.
في الكتيبة الخرساء	١٦
في صبحه والمـاء	١٧
الدنيا الى الرؤساء	.
الشماء والخنساء	.
والقرمطي بلا حساء	٢٠
الهدى امعا حيارى	.
بمستلفة حسارى	.
نوم طويل الكرى	٢١
لنشرب ذاك الصرى	.
إذ زرتها او منى	٢٤
(ب)	
موت قصير فهو منجاب	٢٥
فينـا ربيبـه	٢٦
ما يقول أم حبيبـة	.
من عنتر بن زبيبه	.
واتخاذ صليب	٢٧
في وفد نياب سليبه	.
لم يبغوا احتقار قليب	.
فينا ظاهر الغلب	٢٩
من فجع ومن سلب	.
وكل جاهل صاب	٣١
ما بين إمحال وإخصاب	.
بين رغاض ونصاب	٣٢
بقية أوثان وانصاب	..

	الصفحة
بحكمته الى تهذيبها	٣٥
مثل اوسها اي : ذيبها	.
(ت)	
جابتها السباريت	٣٧
فهم جن عفاريت	.
عن قوم وارخت	٣٨
في النار تويخت	.
ولكن خطبتي اختها	٣٩
(ج)	
من ارفع ابراجي	٤٠
(د)	
لا « المفتي » ولا « العمد »	٤١
ولم تثبت له عمد	.
حتى القيامة زاهد	٤٢
ربي واحد احد	٤٥
فيه معشر لحدوا	.
باهل الارض مقصود	٤٧
في الافق مرصود	.
لم يدعره تهديد	٥٠
وفي الاصوات تنديد	.
وهل لله تحديد	.

	الصفحة
في الزمان فلا يعود	٥٢
فانني لا اعود	٥٦
الى الهواء صعود	.
(د)	
قبلنا طلع النسر	٥٨
انقضى الناس واليسر	.
ان يعبر الجسر	٦٠
في باطن الترب غيرها	٦١
له بالساكنيه مرور	٦٣
شقي الجد مضرور	٦٤
الى ما ساء مجرور	.
الفتى لمن الثبور	٦٥
ابن مريم والزبور	.
فكل القوم بور	.
فوقه اتصل العبور	.
الديار ولا القبور	.
فمتى الجبور	.
واعقبت الدبور	.
سوق لا تبور	.
على نوائبها صبور	.
سالفهم اضل وابتر	٧٤
فيكاد يبكي المنبر	.
فالشرع يعبد والقياس يحرر	٧٧

	الصفحة
وهو اشمت اغبر	٧٨
تصديق بمين يخبر	.
كسرها لا يجبر	.
جهل امرؤ ما اوبر	.
عن يهود يحبر	٧٩
والعمل القبيح يثبر	.
فتحكم الهجري فيه وسنبر	.
عيد لما يقال المنبر	.
تكذب العلماء والاحبار	٨٣
قاماتهم اشبار	.
ولربنا الاعظام والاكبار	.
وما نجيئها إصحار	٨٨
إلى ظلم المحار محار	.
فيها لبنا ويحار	.
ويكون اول هلكه الإطهار	٩٠
ومنه شقائق وبهار	.
حل ولادة وعهار	.
ويثبت واحد قهار	.
لا اقول مهار	٩١
حرمها عليه ظهار	.
تفقد فيهم الأطهار	.
يخفى على البصراء وهو نهار	.
ولكن الضلال جهار	.

	الصفحة
ما كتبوه وما سطروا	٩٥
فابعد بالذي فعلت نفرا	٩٧
في ظهره تشبه الذرا	٩٩
في الحياة كما غرا	.
يعلو فيخطب منبرا	١٠٣
ما استطاع الخروج من الدهر	١٠٤
فالنجاسة كالطهر	.
إحدى الغيد من مضر	١٠٦
اهل البدو والحضر	.
عن موسى ولا الخضر	.
باكبار وإصغار	١٠٨
من سدر ومن غار	.
فجرتهم الى الغار	.
لصنوف الطعم فقار	.
نعوذ بمولانا من النار	.
قطعت في ربع دينار	١٠٩
قطعت في ربع دينار	١١٢
وان نعوذ بمولانا من النار	.
منها صريم سحر	١١٦
إلا كذنب صحر	.
بمطعم الأري المشور	١٢٠
لا تدل على النسور	.
فهو مشتار الشوار	١٢٢
الحق عنها في توار	.

	الصفحة
بزينة اصلا جوار	١٢٧
غيرك والسوار	.
النسيم الى الصوار	.
ما حلت الغير الفواري	.
او عذارى في دوار	١٢٨
خلفنا منه في ليل السرار	١٣١
اتاها صالح ذات المرار	.
حتى يعود الى قديم العنصر	١٣٤
تهافت في طوال الاعصر	.
وتحنف وتهود وتنصر	١٣٩
وانظر بقلب مفكر متبصر	.
عظم الجسوم وبسطة الاعمار	١٤٢
والحق يعلم وجهه بامار	.
ولا خبر لتلك الدار	١٤٧
فيقول للنبا الجديد : بدار :	.
او من يحدث عنهم خبرا	١٤٨
فيما يحل كعاقد الزنار	١٤٩
يسرون في تيه بغير منار	.

	الصفحة
حربوك واحتربوا على الدينار	١٤٩
واشرت للحكماء كل مشار	١٥٢
افتخبرين بحادث الانشار	...
لزم الغلو وناصبي شار	١٥٧
من ترى كصغار	١٥٨
اخرى تعارضها بعيد الغار	...
مقام ابراهيم في نذرها	١٦٠
وجرمها ايسر من عذرها	١٦٠
وصمتها ابلغ من هذرها	...
آخذة الدينار في جذرها	...
وصلاة لربنا وطهور	١٦٥
وسبايا سيقت بغير مهور	...
من قاهر ومن مقهور	...
عدوا سنيهم بالشهور	...
كان حولا لديهم في الدهور	...
في روحة ولا تبكير	١٦٩
من منكر ونكير	...

فهرس الأبيات الأخرى

	الصفحة
(ا)	
ابن هم بلية عمياء	٥٣
ونازعت اسمك الاسماء	١٦٢
(ب)	
موت قصير فهو منجاب	٢٥
ما استورف القوم السحابا	٣٤
غدق بساحة حائر يعبوب	١٤٠
منا لاي عجيب	...
مصارع مظلوم مجرا ومسحبا	١٦١
ما ساء النار في راس كبكبا	...
انا في كريم ينفض الراس مغضبا	...
(ت)	
تخليت مما بيننا وتخلت	٦٨
تبوا منها للمقيل اضمحلت	..
(ح)	
فان لكل نصيح نصيحا	٩٤
ابتغي العيش اكدح	١٣٥
اهوى لي للموت اروح	...

	الصفحة
(د)	
مانحات الهجير صعر الخدود	٥٤
صخرة مثل عسكر ممدود	٨٦
الى من يثير الجن وهي هجود	١٠١
وقديما كان في الناس الحسد	١٥٣
اقاسيهم ودهر كنود	١٦٢
وفيها فوت يوم للقراد	...
(ر)	
عبدلا دون الازار	٢٢
غير مبعوث لنار	..
يسعى في نبار	..
دين الحمار	..
قل لي كيف اعتذر	٤٠
بناه وصلب فيه وصارا	٥٤
طورا خفوقا وطورا جؤازا	٥٥
اذا النسمات نقضن القبارا	..
لم يشهد اليوم ناصره	٧٣
من سناها عرف هندي وغار	١١٠
تقضم الهندي والغارا	١١١
اغلت الشتوة ابداء الجزر	١١٤
هر الخالع اقدح اليسر	...

	الصفحة
ولا من تلتوى بسره	١١٥
وما اذنبت الا ذنب صحر	١١٩
فان الحق عنها في توار	١٢٥
واذكرها اذا فاح الصوار	١٢٩
بعد التلال خليتا زنبور	...
فان اكثرهم بل كلهم بقر	١٣٤
(ط)	
بين الجيرة الخلط	٦٢
(ع)	
هواديها نعـا	٣٤
لستة اعوام وذا العام السابع	١٣٧
(ك)	
ما تنبت القفعاء والحسك	٣٤
(ل)	
منه خاشع متضائل	٧٥
خيلا تكر عليكم ورجالا	١١٧
ثلاثين شهرا في ثلاثة احوال	١٣٦
(م)	
وقد تجلى كرب المغتم	٢٠
وما ليل المطي بنائم	٢١
من عقار مدامـه	٢٢
كافر بالقيـام	..
ومهما يكتم الله يعلم	٥٣
او يعجل فينتقم	..
والبرق يندب في الغمامه	٧٥
والشعر لا يسطيعه من يظلمه	١٠٢
زلت به الى الحضيض قدمه	...
يريد ان يعربه فيعجمه	...
مسومة تدعو عبيدا وارثما	١١٦
الجمرة البيض كالدمى	١٣٠
لم يتعفين والعهد قديم	١٣٦
فلأيا عرفت الدار بعد توهم	١٣٧
ولكن عهدي بالنضال قديم	١٥٢
وافضل اهواء الرجال قديمها	١٥٤
ولا بالذي اوليت من قدم	...
وخلاله حقب قديم	١٦١
(ن)	
الهنـاء على ما هنا	٢٣
اعن هذا يسار الى الطعان	١٠١
وعلمكم مفارقة الجنان	١٠٢
ولم ياتنا عما لديك يقين	١٤٨
(ي)	
ما تركني للكلاب العاوية	٧٠
فمالا نبة الجودي ليلى ومالیا	١٣٠
اذا الناس عجوا قائلا ان تؤانيا	...

فهرس الآيات القرآنية

(ا)

	الصفحة
ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما	١٢٤
وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا	١١٢
هل اتى على الإنسان حين من الدهر	٦١
وإذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم: السست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا ، ان تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غـافلين	١٠٠
يا ايها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هـذا	١٠٥
يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة	٩٣
وقد كفروا بما جاءكم من الحق	١٦
والامر يومئذ لله	١٩
واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق	١٤١
لا إله الا الله	

(ب)

فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين	٧٥
لبئس ما كانوا يصنعون	٨٤
كلا إذا بلغت التراقي ، وقيل من راق	٥٦
يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ؛	١٤٥
ولا نساء عسى ان يكن خيرا منهن	١٦٢
ثم بغى عليه لينصرنه الله	

(ج)

	الصفحة
واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به	٩٤
إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون	١١
اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك	١٣٢
وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر	١٥٥

(ح)

ويحذركم الله نفسه	٦٣
يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف	٩٤
وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله	١٢٠
وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور	٦٦

(خ)

وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما	١٣٨
كأنهم خشب مسندة ، يحسبون كل صيحة عليهم ، هم العدو	١١٧
وما خلقت الجن والإنس الا ليعبدون	٤٨
لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ، ثم رددناه اسفل سافلين	٨١
كزرع اخرج شطاه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه	٩٢
ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك	١٦٥

(د)

فالمدبرات امرا	٣٠
وما ادري ما يفعل بي ولا بكم	٣٩
افلا يتدبرون القرآن	١٢٣
فدلاهما بغرور	٩٩

(ذ)

	الصفحة
ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم اعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، اولئك كالانعام بل هم اضل ، اولئك هم الغافلون	٥١
فذرهم يخوضون ويلعبوا	١٢٠
الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويتفكرون في خلق السموات والارض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار	٤٧
اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها	٦٦
فذكر إن نفعت الذكرى	١٧٣
وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين	...

(ر)

واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما ، قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة ، والله خير الرازقين	١٠
ترى الذي كذبوا على الله وجوههم مسودة ، اليس في جهنم مثوى للمتكبرين	٨٤
والراسخون في العلم يقولون	١١٣
وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والارض ، وليكون من الموقنين ، فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال : هذا ربي ، فلما افل قال : لا احب الآفلين	١٥٥

(س)

يسأل أيان يوم القيامة	٨٩

	الصفحة
يسالونك عن الساعة ايان مرساها	٨٩
وما انت بمسمع من في القبور	٤٣
إنا سمعنا قرآنا عجبا	١٣٩
يسالك الناس عن الساعة ، قل إنما علمها عند الله ، وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا	١٥٦

(ش)

ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ، والله رؤوف بالعباد	١٤٤

(ط)

فاما من طغى ، وآثر الحياة الدنيا ، فان الجحيم هي الماوى ، واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فان الجنة هي الماوى	١٥٠

(ع)

وعادا وثمود واصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا	٥٨
ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام	١٤٤
وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم	١٣
إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ، ويعلم ما في الارحام ، وما تدري نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدري نفس باي ارض تموت ، إن الله عليم خبير	٤٨
الله يعلم ما تحمل كل انثى	٣
فاعتبروا يا اولي الابصار	١٢٣

	الصفحة
وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون	٢٢
إنا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا	٤٤
فاعتبروا يا اولي الابصار	١٢٣
ومن نعمره ننكسه في الخلق افلا يعقلون	٨١
وما يعلم تاويله إلا الله والراسخون في العلم	١١٣
اما من استغنى فانت له تصدى	١٤٣

(غ)

إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا	١٢

(ف)

هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين	١٦
أولم يتفكروا في انفسهم ، ما خلق الله السموات والارض وما بينهما إلا بالحق	٤٦
ويتفكرون في خلق السموات والارض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار	١٤١
كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام	٦٣

(ق)

الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم	٣٦

	الصفحة
قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم	٤٠
قالا ربنا ظلمنا انفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين	٤٥
حتى يقول الرسول والذين معه : متى نصر الله ؟ الا إن نصر الله قريب	٧١
وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء ،	
قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا	٨٤
لا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين	٤٤
قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب	٤
(ك)	
فان كان لكم كيد فكيدون	١٢١
وكنتم امواتا فاحياكم	٦٠
وإن كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم	٩
إن الذين كفروا سواء عليهم انذرتهم او لم تنذرهم لا يؤمنون	٣٦
(ل)	
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة	١٩
وإن منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون	٩٦
(م)	
ومكروا ومكر الله	١٤
إنك ميت وانهم ميتون . ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون	١٠٩

	الصفحة
فنظر نظرة في النجوم	١٥٥
(ن)	
نزاعة للشوى	٣٠
او لم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء ، وان عسى ان يكون اقترب اجلهم	٤٧
لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون	٨٣
والله انبتكم من الارض نباتاً	٩١
هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم	١٦
هذا يوم لا ينطقون	٠٠
وكل نفس ذائقة الموت	٦٣
(و)	
فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون	٩
فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا	٩٥و١٤
هل وجدتم ما وعد ربكم حقا	٤٣
ويل المطففين	١٥٤
(ي)	
ولا يغوث ويعوق ونسرا	٥٩

فهرس الأحاديث النبوية

(أ)

	الصفحة
ان الانسان إذا قبل اوامر الله فكانه ملك ، واذا خالفها فكانه عفريت مارد	٣٧
إن ابن آدم ليعمل اعمال أهل الجنة حتى لا يبقى بينه وبينها الا قيد الظفر ثم يرجع عن ذلك فيدخل النار . وانه ليعمل اعمال اهل النار حتى لا يبقى بينه وبينها الا قيد الظفر ثم يرزق التوبة فيدخل الجنة	٣٨
انهم ليسمعون ولكن لا يستطيعون جوابا	٤٣
إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور الناس ، ولكنه يقبض العلم بموت العلماء ، حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم ، فضلوا واضلوا	١٦٤

(ب)

بعثت في الالف الآخر	٥٤
بعثت في آخرها الفا	٥٠
إن الخوارج كلاب اهل النار	١٥٧

(د)

تدمع العين ، ويخشع القلب ، ولا نقول ما يغضب الرب ، وانا عليك	١١٨
يا ابراهيم لمحزونون	١٥٧
يدخل فيك النار رجلان ، محب مفرط ومبغض مفرط	١٣٥
طؤوه بحوافرها فانما هو اليوم مدر	

(ع)

	الصفحة
استعينوا في اموركم بالكتمان	٩٣

(ل)

لا تفكروا في الله وتفكروا في مصنوعاته	٤٦
لا تقوم الساعة حتى ...	١٤١
لا نذر في معصية	١٦٣

(م)

من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه	٤٣
من اكثر الفكرة بالله تزندق	٤٦
الموت اول عدل الآخرة	١٠٩

(ن)

الناس معد بن عدنان	٥٠

(هـ)

امتهوكون انتم كما تهوكت اليهود والنصارى ؟ والله لقد جئتكم بها بيضاء كقرصة النقي ، فلو ان موسى صلى الله عليه وسلم حي ما وسعه الا اتباعي	٩٦
لو سلم احد من ضغطة القبر لسلم سعد بن معاذ	١٧٢

فهرس الأعلام

(ا)

	الصفحة
ابان النابغة	١٣٦
ابراهيم الخليل ١٥٥ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤	
ابليس	١٣٢
اخنس بن شريق الثقفي	١٤٤
آدم ٤٤ ، ٥٧ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٣١ ، ١٣٢	
اسامة	٢٢
ابن اسحاق ومحمد بن اسحاق المطلبي	١٣١
ابو اسحاق	٦١
اسماعيل بن ابراهيم	١٦٢ ، ١٦٣
اعشى قيس (الاعشى بن ميمون بن قيس)	٥٤ ، ١٦١
امرؤ القيس	١٣٦ ، ١٥٣
اوس القرني	٣٥

(ب)

بخت نصر	١٢٥
بلال	١٦

(ث)

	الصفحة
ثمود	٩ ، ٥٨
ثابت بن قيس بن الشماس	١٤٥

(ج)

جبريل	١٠٤
جرير	٢١ ، ١٥٣
جعفر بن محمد الصادق	٧٧
الجعفي (ابو الطيب المتنبي ، احمد ابن الحسين)	١٠١
ابن جحش (عبيد الله بن جحش الاسدي)	٢١
الجنابي (سليمان بن الحسن القرمطي)	١٢
ابو جهل بن هشام	٣٦
ابو جهينة	١٤٥

(ح)

الحارث اليشكري	٥٣
حاطب بن ابي بلتعة	٩٣
ام حبيبة (رملة بنت ابي سفيان)	٣٦

الصفحة

الحسن بن هاني ٤
حمزة (عم النبي ص) ١٣٥
حواء ٤٤ ، ١٣١
ابو حية النميري (الهيثم بن الربيع) ١٥٢ ، ١٥٣
حسان بن ثابت ١٥٣

(خ)

الخضر ١٠٦ ، ١٠٧
الخنساء ١٧
خديجة ابنة خويلد (ام المساكين) (زينب بنت خزيمة بن الحارث ابن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة) ١٤٥ ، ١٤٦

(د)

دحية بن خليفة الكلبي ١٠

(ر)

ابن ابي ربيعة ١٥٣
رشيد ٣٥ ، ٣٧

(ز)

ابو زيد (المنذر بن حرملة) ٥٤

الصفحة

زحل ٣٣
بنو زهرة ١٤٤
زهير بن ابي سلمى ٣٤ ، ٥٢ ، ١٣٧ ، ١٥٤
زياد بن عبد الله ٥
زينب بنت خزيمة بن الحارث ابن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة = خديجة بنت خويلد

(س)

سنبر ٧٩ ، ٨١
سعد بن معاذ ١٧٢
ابو سعيد الخدري ١٧٢
شاستكير ١٦٣

(ص)

صهيب بن سنان ١٤٤

(ط)

الطائي (ابو تمام الطائي) ١٠٠ ، ١٢٤
الطبري ٨٩
طرفة ١١٤
ابو الطيب (المتنبي) ١٦٢

(ع)

الصفحة

عاد ٩ ، ٥٨ ، ٨٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨
عباس (بن مرداس) ١١٩
عبد الله بن سبأ ١٥٧
عبد الله بن المعتز ١٤٨
عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي ٤
عبد الملك بن مروان ٦١
ابن عتر ١٦١
ابنة عجلان ١٣٦
عدي بن زيد العبادي التميمي ١٠
بنو عقيل ١٣
عكرمة بن ابي جهل ٣٦
ابو العلاء المعري : ورد اسمه في اكثر صفحات الكتاب
علي ١٨
علي بن ابي طالب ١٦٦ ، ١٧٢
عمر ٣٣
عنبري ١٠١
عنتر بن زبيبة ٢٦ ، ١٣٦
عنقاء مغرب ٧٠
عوج بن عنق ٨٥ ، ٨٦

(غ)

الصفحة

ام غيلان ٢١

(ف)

فاطمة بنت اسد بن هاشم ١٧٢
فرعون ١٠٨ ، ١٠٩
فناخسر ١٦٣

(ق)

القرمطي (الجنابي) ١٢ ، ١٧ ، ٨١
قريش ٤٣
قس بن ساعدة ٥٢
قنبر ١١٠
قيس بن الخطيم ١٤٠

(ك)

كعب الاحبار ابن مانع الحميري ١٢٥
الكميت ١٥٣

(ل)

لقمان بن عاد (اخت) ١١٩
لقمان بن عاد ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨

(م)

محمد (ص) ٦٥ ، ٦٧ ، ١٥٠

	الصفحة
ام المساكين ـ خديجة بنت خويلد	١٤٦
محمد بن معن	١٣
محمود (محمود بن سبتكين الغزنوي)	١٧٠
مرثد بن ابي مرثد الغنوي	٣٦
المرقش (ربيعة بن سفيان)	١٣٦
ابن مريم (عليه السلام)	٦٥
مضر	١٠٦
معد بن عدنان	٥٠
ابن مقبل (تميم بن ابي)	١٣٥ ، ١٣٦
ابن مناذر (محمد بن مناذر)	٨٥ ، ١٦١
منكر	١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٣
موسى (عليه السلام)	٤٤ ، ٦٥ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٦ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٣٣ ، ١٦٢

(ن)

النابغة الذبياني	٧٤
نسر	٥٩
نكير	١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٣
نعيم بن مسعود الاشجعي	٣٦
نويخت	٣٨
نوح	٥٩ ، ٨٩

(هـ)

هارون	١٦٢
الهجري	٧٩ ، ٨١

(و)

الوليد بن يزيد	٢٢

(ي)

يزيد بن مفرغ (يزيد بن زياد الحميري)	٧٥
يعوق	٥٩
يغوث	٥٩

فهرس الأمكنة

	الصفحة
(ا)	
احد	١٣٥
الاحساء	٢١٧
(ب)	
البرجيس	٤٠ ، ٤١
البصرة	١٧
(ج)	
الجزائر	١٣٢
الجنة	٣٨ ، ٥٧ ، ٦٢ ، ١٠٠
(ح)	
الحجاز	١٣٢
الحجر	١٣ ، ١٩
الحرم	١٣ ، ١٨ ، ١٩
الركن	٣٣
زحل	٢٩ ، ٤٠ ، ٤١
(س)	
سبا	٧
الشام	١٠
(ق)	
قويق	٧٠
(ك)	
الكعبة	٩٧ ، ١٦٨
كيوان	٢٩ ، ٤٠ ، ٤١
(م)	
المدينة	١٠
المريخ	٢٩
المسجد الحرام	١٠٥
المشتري	٢٩ ، ٤٠ ، ٤١
المعرة	٦
مكة	١٣ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٩٣ ، ١٤٣
(هـ)	
الهند	١١١ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢
(ي)	
يثرب	١٨
اليمن	٦

المطبعة الهاشمية بدمشق

تصويبات

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١١	١	بهـــم	لهـــم
١٤	٣	وبادت	وماتت
١٥	٣	ليس الزمان بمنقض	ما يعرفون انقضاءه
٢١	٧	صُرينا	صَرينا
٢٣	٦	من المضيق	من الضيق
٢٧	٦	سنليبِ	سليبي
٣٤	٨	استورف	استودف
٦٥	٣	وبادت	وبارت
٦٩	٨	قولُ القائل	قولَ القائل
٧٢	٨	أن يذكر	لعلها : أن ينكر
١٠٦	٥	فصلت الناس	فصلت بالناس
٧٧	٤	عبد الله عابداً	عبداً لله عابداً
٨٣	٥	او يعظمو	او يعظموا
٩٠	٨	ويثبت	ويبقى
١٠٨	٨	تناقض ماله	تناقض مالنا
١١٢	٩	والبيت	والبيت
١١٢	١١	ماله	مالنا
١٢٧	٣	باختلال	باختلاس

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٢٧	٦	(٣)	(٢)
١٢٧	١٢	(٣)	(١)
١٢٧	١٤	(٣)	(٢)
١٢٧	١٥	(٣)	(٣)
١٢٧	٧	الحن	الجن
١٢٨	١٤	(٣)	(٤)
١٣٦	٦	رسومُ	رسومْ
١٣٦	٦	قديمُ	قديمْ
١٤٠	٣	غداها	غذاها
١٦٠	١٢	نشر محب الدين الخطيب مقالاً في مجلة الزهراء	نشر محب الدين الخطيب مقالاً لأحمد تيمور في مجلة الزهراء

استدراكات

صفحة	سطر	
٤١	٢	(حاشية) و « المغني » } الكتابان لقاضي القضاة
١٤	٣	(حاشية) و « العمد » } عبد الجبار المعتزلي
١٤٠	١	جاء في الحاشية (٣) سطر ٨ : « أما البيت الثاني فليس في الديوان ولا في حماسة ابن الشجري » . وقد عثرنا بعد الانتهاء من طبع هذا الكتاب على البيت برواية أخرى وهي :

رقراقة بكر غذاها تابع متعجب منها لأمر عجيب

هكذا رواه ابن السكيت في تهذيب الألفاظ ص ٣١٨ - ٣١٩ ونقله عنه الدكتور ناصر الدين أسدي في طبعته لديوان قيس ص ١٦٢